13 me Année No. 614

Lundi - 9 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٤ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ٩ أبريل سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

الرصـــافى وأغا خان

أو

الزعيم الأدبى والزعيم الدينى

لك الله يا ابن آدم ، ما أغمض سر الطبيعة فيك ! تزعم أن فيك عقلا وأنت تتبع هواك ، وأن لك ديناً وأنت تعبد دنياك ، وأن عندك علماً وأنت تجهل نفسك !

ما هذا الذى نرى من خذلان المنطق لك ، وإسراف الرأى عليك ؟ تعرف الله وتفسق عن طاعته ، وتخلق الصنم وتخلص فى عبادته ، ثم تقدس الجرائم باسم العدل ، وتعتقد الأباطيل باسم العقل ، وتفسد قوانين السماء وتقول إنه الشيطان ، وما الشيطان إلا نفسك ؛ وتزيف طبائع الأشياء وتقول إنه الحظ ، وما الحظ إلا عماك !

إن من عماك لا من عبث الحظ أن يكون فى بيتك الكلب يتقلد الذهب ، ويتوسد الحرير ، ويتبنأ اللحم ، وفى جوارك الإنسان يفضح جسده العُرْى ، ويلحس كبدَه الجوع ، ويقض مضجعه الهم

وإن من هواك لا من نزغ الشيطان أن تلح على أخيك بالأثرة والحرمان ثم ترثى لحالته ؛ وإذا كان من عمل الشيطان أن تقتل القتيل فليس من عمله أن تمشى فى جنازته ؟

فى الأسبوع الذى كان الرصافى شاعر العربية يعالج فيه آلام المرض ، ويكابد غصص الموت، على الفراش القلق، فى المضجع الموحش ، وكل ما علكه من حياته الطويلة العريضة أسماله البدوية وأشعاره المخطوطة، فى ذلك الأسبوع نفسه كان أغا خان زعيم الاسماعيلية يقعد فى كفة الميزان المأثور المشهور كما ترى ، وبإزائه فى الكفة الأخرى مائة



أغا خان فى الميزان

كيلو من سبائك الذهب المصفى ؛ هى مثقال الزعيم العظيم فى هذا العام ، خرج له عنها أتباعه فى الهند وفى غير الهند ، ونفوسهم راضية ، وقلوبهم مطمئنة !

إى والله ! مائة كيلو من الإبريز الخالص ، هى ضريبة العقيدة يقدمها المؤمنون المخبتون كل سنة إلى أميرهم المقدس ، ورقابهم من الجلالة خواضع ، وعيونهم من المهابة نواكس ، فيتعطف صاحب السمو بأخذها ، ليطهرهم بها ، ويزكيهم لأجلها ، فى حلبات السباق ، وخلوات العشاق ، ومعابد الحب ، على البحيرات الناعمة بالنعيم ، والجبال الباسمة بالجمال ، والشواطئ المائجة بالفتنة

الحياة الروحية بسببه ، فما بالهم تركوه يكتب فى وصيته الأخيرة هذه الفقرات التى تستدر الشؤون وترمض الجوانح :

« كل ما كتبته من نظم ونثر لم أجعل هدفى منه منفعتى الشخصية ، وإنما قصدت به خدمة المجتمع الذى عشت فيه ، والقوم الذين أنا منهم ونشأت بينهم ، لذلك لم أوفق إلى شىء فى حياتى يسمى بالرفاهية والسعادة فى الحياة ... لا أملك شيئاً سوى فراشى الذى أنام فيه ، وثيابى التى ألبسها : وكل ما عدا ذلك من الأثاث الذى فى مسكنى ليس لى ، بل هو مال أهله الذين يساكنونى ... »(1)

أين كان ذوو النفوس الشاعرة القادرة من أتباع الرصافى حين أفرط عليه إباؤه وكبرياؤه ، فانطوى على نفسه يهدهد آماله بالصبر ، ويخدر آلامه بالشراب ، وروحه الوثاب يبتغى انبثاق النور ، وأمله الطماح يتقلص تقلص الظل ؟ لو شاء الرصافى أن يهاوى السلطان ، ويمالق الحكومة ، وينافق الشعب ، لعاش أرغد العيش وبلغ أرق المناصب ؛ ولكنه آثر الحرية على الرق ، واستحب الصراحة على الرياء ، فذهب شهيد كرامته وعفته .

ستقول إن الزعيم أغا خان كذلك صريح حر ، وإن صراحته السافرة وحريته الطليقة لم تبغيا عليه فى قومه ، ولم تجرا إلى الكلام فى صلاته وصومه . والجواب أن أتباع الزعيم الدينى يصورونه فى نفوسهم بصورة العقيدة التى يدينون بها ، ويجعلون هيكله المادى رمزاً لهذه الصورة . ولهذا الرمز ظاهر يراه الأوزاع ، وباطن يستأثر بعلمه الأتباع ؛ فهم يسددون مايبصرون من زينه ، ويؤولون مايسمعون من باطله ، ويُسبلون على عمله المريب مايسبله الصوفيون من القداسة على الطبل والدف والناى والصنج ، فتصبح هذه الآلات فى أيديهم غيرها فى أيدى القيان والمُجّان ؛ وهى فى نظر الناس لا تختلف فى شىء عنها . قل إنها الجهالة أو السذاجة أو البلاهة ، فلن يقدح ما تقول فى الحقيقة ، ولن يغير من الواقع .

أما أتباع الزعيم الأدبى فإنهم يتخذون صورته من فنه وروحه ؛ فلصورته فى كل ذهن شكل مختلف ، وفى كل قلب أثر خاص وطبيعة هذه الصورة أو تلك الصور مشتقة من طبيعة الفن : تتضح تارة وتنبهم تارة ، وتختفى حيناً وتلوح حيناً ، على حسب استعداد النفوس لتقبل الجمال الفنى حالا على حال ، ووقتاً بعد وقت . لذلك كانت عقيدة هؤلاء الأتباع فى زعيمهم كالعَرَض المنفك : تزول ثم تؤول . فإذا زالت نسوه كما ينسون السرور والحزن واللذة والألم ؛ وإذا آلت سمعوه كما يسمعون البلبل على فنن الدوحة ، يطربون لشدوه ويعجبون بريشه ، ثم لا يعنيهم بعد ذلك أيجد الحَب والعش ، أم يجد الفخ والقفص .

وكذلك شأن أصحاب السلطان وأرباب الحكم مع رجال الأدب ، يقتبسون من عقولهم النور إذا أظلمت الخطوب ، ويستمدون من نفوسهم اللهب إذا خمدت العزائم ، حتى إذا استوثق لهم الأمر ، وتنازعوا الغار ، وتقاسموا الفىء ، أنكروا مابذل الأدباء ، وقالوا بلهجة الساخر البطر : وماذا صنع هؤلاء ؟ لقد قالوا وإن الكلام طيع ، وكتبوا وإن المداد رخيص ! ذلك إلى أن أكثر عشاق الأدب مفاليك لا يملكون لأربابه إلا الدعاء فى الحياة ، وإلا الرثاء فى الموت ! وإذا كان لدى بعضهم فضل من القوت لم يجد فى نفسه من سلطان العقيدة ما يحمله على المواساة به ؛ وذلك هو الفرق بين العقيدة الأدبية والعقيدة الدينية . فالعقيدة الدينية سلبية لا تتجاوز الإعجاب بالكلام والإنفاق من الكلام ؛ فإذا وجدت من يبذل فى سبيلها المال كان ذلك قطعاً للسان الهاجى ، أو شراء لضمير المادح ، أو تزييفاً لصورة الحق ، وليس فى مثل هذا البذل كسب للأدب ولا نفع للأديب . ولكن العقيدة الدينية إيجابية تقوم على إعلان الفكر بالشعيرة ، وتمثيل المعنى بالرمز ، وتحقيق النية بالعمل . والسلطان الروحى فيها قاهر ، والأثر المادى عليها ظاهر . وحسبك منها الزكوات والصدقات والأضاحى والنذور ؛ ففى بعض أولئك للزعيم الدينى ذهب وميزان ، ومدد وسلطان ، وقصور ورآسة ، ثم ضريح وقداسة !

* * *

حظك يا معروف هو حظ الأديب منذ كان فى الناس أدباء وفى الأرض أدب ! عوت أمثالك شرقاً بالبؤس ، كما عوت أمثال أغا خان غرقاً فى النعمة ! فلو أن ربك حقق لك ما كان يرجوه شيخك الألوسى من رسوخ قدمك فى الدين ، وعلو منزلتك فى التصوف ، إذن لخلفته فى الزعامة الدينية ، وبلغت من (طريقتك) ما بلغ أغا خان فى الدنيا ، ونلت من (صوفيتك) ما نال معروف الكرخى فى الآخرة .

احمد حسن الزيات

---

(1) إقرأ نص الوصية كاملة فى البريد الأدبى .

أقوال فى الزكاة مهمة ، لأئمة

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

أراجع من أجل الطبعة الثانية لكتابى (الإسلام الصحيح) مؤلفات القوم ، فأجد فى (إعلام الموقعين عن رب العالمين ، وفى مفاتيح الغيب ، وفى المُحلَّى) هذه الأقوال العظيمة المهمة فى الزكاة والمعونة . وهى أقوال لاتسأل راويها تفسيراً ولا تفصيلاً ؛ إنها تشرح نفسها ، وتعلن أمرها ، وتذكر وتنذر ، بل تكاد تنطق بالحق معنوتة مثل الأناس الناطقة . وقد رأيت أن أتعجل نشرها فى (رسالتنا) الإسلامية ، والسبق من دأب (الرسالة) ومن دأبها تعجيل الخير .

— ١ —

قال الإمام أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية فى (إعلام الموقعين عن رب العالمين) :

إن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أسقط القطع عن السارق فى عام المجاعة . قال السعدى : حدثنا هارون بن اسماعيل الخراز : حدثنا على بن المبارك حدثنا يحيى بن أبى كثير : حدثنى حسان بن زاهر أن ابن حدير حدثه عن عمر قال : لا تقطع اليد فى عذق ولا عام سنة . قال السعدى : سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث ، فقال : العذق النخلة ، وعام سنة المجاعة . فقلت لأحمد : تقول به ؟ فقال : إى لعمرى .

قلت : إن سرق فى مجاعة لا تقطعه ؟

فقال: لا . إذا حملته الحاجة على ذلك ، والناس فى مجاعةوشدة .

وقد وافق أحمدَ على سقوط القطع فى المجاعة الأوزاعى ، وهذا محض القياس ومقتضى قواعد الشرع ؛ فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك إما بالثمن أو مجاناً على الخلاف فى ذلك . والصحيح وجوب بذله مجاناً لوجوب المساواة ، وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج .

قلت : قد درئ الحد عن السارق فى غير المجاعة وفى غير السنة ، ففى (سيرة عمر بن عبد العزيز) للامام أبى الفرج عبدالرحمن ابن الجوزى :

« ... حدثنا زياد بن أنعم الألهانى عن عمر بن عبد العزيز أنه أُتى إليه بسارق ، فشكا إليه الحاجة ، فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم[1] »

والمثل يقول : « الخلة تدعو إلى السلة » والخلة الفقر ، والسلة السرقة ،قال العلامةالميدانى : ويجوز أن يراد بالسلة سل السيوف ... !

— ٢ —

قال الإمام محمد فخر الدين الرازى المعروف بخطيب الرى فى (مفاتيح الغيب) وهو تفسيره الكبير الشهير :

١ — إن النفس الناطقة لها قوتان : نظرية وعملية ، فالقوة النظرية كما لها فى التعظيم لأمر الله ، والقوة العملية كما لها فى الشفقة على خلق الله ، فأوجب الله الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال وهو اتصافه بكونه محسناً إلى الخلق ساعياً فى إيصال الخيرات إليهم دافعاً للآفات عنهم .

٢ — إن الخلق إذا علموا فى الإنسان كونه ساعيا فى إيصال الخيرات إليهم وفى دفع الآفات عنهم — أحبوه بالطبع ، ومالت نفوسهم إليه — لا محالة — على ما قال عليه الصلاة والسلام : (جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها) فالفقراء إذا علموا أن الرجل الغنى يصرف إليهم طائفة من ماله ، وأنه كلما كان ماله أكثر كان الذى يصرفه إليهم من المال أكثر — أمدوه بالدعاء والهمة . وللقلوب آثار ، وللأرواح حرارة ، فصارت تلك الدعوات سبباً لبقاء ذلك الإنسان فى الخير والخصب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وأما ما ينفع الناس

---

(١) فى ليلة من ليالى الدهر — كما يسميها العالم الأديب الكبير محمد عبد الغنى حسن — فى القاهرة « أدام الله عمرانها بالسلمين » — كما يقول ابن خلدون وهو قولنا ودعاؤنا فى كل حين — فى منزل العلامة الأستاذ الكبير إسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور والمؤلفات المشهورة ومحرر المقتطف اليوم — رويت هذا الخبر و « الحديث شجون » فسر به الأستاذ وصحبه من الفضلاء الحاضرين ، وسئلت عن مظنته فقلت : نقلته فى أوراق ، ولا أتذكرها فى هذا الوقت . والخبر فى الكتاب المذكور فى المتن فى الصفحة (٧٩) . مطبعة المؤيد .

فيمكث فى الأرض) وبقوله عليه الصلاة والسلام : (حصنوا أموالكم بالزكاة[(١)])

٣ — إن المال سمى مالاً لكثرة ميل كل أحد إليه فهو غاد ورائح ، وهو سريع الزوال مشرف على التفرق ، فما دام يبقى فى يده كان كالمشرف على الهلاك والتفرق ، فإذا أنفقه الإنسان فى وجوه البر والخير والمصالح بقى بقاء لا يمكن زواله ، فإنه يوجب المدح الدائم فى الدنيا والثواب الدائم فى الآخرة . وسمعت واحداً يقول : الإنسان لا يقدر أن يذهب بذهبه إلى القبر . فقلت : بل يمكنه ذلك إذا أنفقه فى طلب الرضوان الأكبر فقد ذهب به إلى القبر ، وإلى القيامة .

٤ — إن إيجاب الزكاة يوجب حصول الإلف بين المسلمين وزوال الحقد والحسد عنهم ، وكل ذلك من المهمات .

٥ — إن الأغنياء لو لم يقوموا بإصلاح مهمات الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة والمسكنة على الالتحاق بأعداء المسلمين ، وعلى الإقدام على الأفعال المنكرة كالسرقة وغيرها .

— ٣ —

قال الإمام ابن حزم فى المحلى :

فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات ولا فىء سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة .

قال عمر بن الخطاب (ض) لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين .

وعن ابن عمر أنه قال : فى مالك حق سوى الزكاة .

وصح عن الشعبى ومجاهد وطاوس كلهم يقول : فى المال حق سوى الزكاة .

... ويقولون : من عطش فخاف الموت ففرض عليه أن يأخذ الماء حيث وجده وأن يقاتل عليه .

فأى فرق بين ما أباحوا له من القتال على ما يدفع به عن نفسه الموت من العطش وبين ما منعوه منه من القتال عن نفسه فيما يدفع به عنها الموت من الجوع والعرى ، وهذا خلاف للإجماع وللقرآن وللسنن وللقياس .

ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو ذمى ، لأن فرضا على صاحب الطعام إطعام الجائع، فإن كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير ، وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قُتل فعلى قاتله القود ، وإن قُتل المانعُ فإلى لعنة الله لأنه منع حقاً . وهو طائفة باغية . قال تعالى : (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق مانع الزكاة .

* * *

تلكم أقوال الاسلامية عربية بينة . وأقول فى هذا المقام وفى الختام : إنه من لم يجب داعى الله وهَدْى (الكتاب) وشرعة سيد الأنبياء والمرسلين — وفى الوقت فسحة — فليرتقب طلعة التنين[(١)] ، وقسمة لينين ... ! !

محمد إسعاف النشاشيبى

(١) فى مجموعة (النهج) هذا القول : سوسوا إيمانكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا مواج البلاء بالدعاء .

وفيه هذا القول : استنزلوا الرزق بالصدقة .

وفى شرحه لابن أبى الحديد : جاء فى الحديث المرفوع ، وقيل إنه موقوف على عثمان : (تاجروا الله بالصدقة تربحوا) وكان يقال : الصدقة صداق الجنة ، وفى الحديث المرفوع : ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تخليفه . وعنه (ص) : ما من مسلم يكسو مسلماً ثوباً إلا كان فى حفظ الله ما دام منه رقعة . وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه .

(قلت) : حسب هذه الأقوال المنسوبة إلى النبى وإلى على أن تقولها إسلامية ، وأن يؤيد معانيها (الكتاب) .

(١) التنين فى الأصل — كما سطروا — ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها ، فى فمه أنياب مثل أسنة الرماح ، وهو كالنخلة السحوق ، أحمر العينين مثل الدم ، واسع الفم والجوف ، براق العينين ، يخافه حيوان البر والبحر ، إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته . روى عن بعضهم أنه رأى تنيناً طوله نحو من فرسخين ، ولونه مثل لون النمر ، ورأسه كرأس الانسان لكنه كالتل العظيم ، وأذناه طويلتان ، وعيناه مدورتان كبيرتان جداً ...!

علم العرب الأقدمين بالجراد

مع نبذ عن غارات الجراد الحديثة

للدكتور محمد مأمون عبد السلام
وكيل قسم النباتات بوزارة الزراعة

بقية ما نشر في العدد الماضي

وقال جندل بن المثنى يصف غارة الجراد :

يثور من مشافر الخنادج ومن ثنايا القف ذى الفوائج
من ثائر وناقز ودارج ومستقل فوق ذاك مائج
يفرك حب السنبل الكنافج بالقاع فرك القطن بالمحالج

(والكنافج هو السمين الممتلىء . والخنادج هى الابل الضخام شبهت بالرمال) .

ومن الطريف أن كتاب العرب الأقدمين كانوا على علم بأطوار الجراد ، فقد وصفها صاحب المسالك ابن فضل الله العمرى الدمشقى المتوفى ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ ميلادية) إذ قال إن الجراد صنفان أحدهما يقال له الفارس (Migratory) وهو الذى يطير فى الهواء عالياً . والصنف الآخر يقال له الراجل وهو الذى ينزوى Solitary فإذا فرغت أيام الربيع طلبت أرضاً طيبة رخوة فتنزل هناك وتحفر بأذنابها حفراً وتطرح فيها بيضها وتدفنه وتطير فتفنيها الطيور والحر والنور فإذا تم الحول جاءت أيام الربيع تفقأ ذلك البيض المدفون وظهر مثل الديب الصغار على وجه الأرض ، وقالوا كل جرادة تبيض شيئاً كثيراً فإذا خرج ذلك من البيض أكل ما وجد من الزرع والشجر وغيرها حتى يقوى ويقدر على الطيران فينهض ويذهب إلى أرض أخرى فيفعل ذلك أبداً دائماً تقدير العزيز العليم .

وينطبق ما قاله ذلك العالم العربى على النظرية الحديثة لأطوار الجراد Theory of Phases التى وضعها العالم المالى الأستاذ يوفاروف الاختصاصى الشهير فى الجراد وبذلك يكون علماء العرب قد سبقوا علماء الغرب فى القول بنظرية أطوار الجراد بنحو ستمائة سنة .

وقد نصح كتاب العرب لمقاومة الجراد وإبادته بالتدخين ، ورش النباتات بمواد طاردة ، وإحراق الجراد ومطاردة فراخه إلى أخاديد محفورة يحرق فيها ، وقد شرح ذلك صاحب كتاب الدر الملتقط فى علم فلاحتى الروم والنبط فقال . أما الجراد والجندب فيدخن مع جرى الهواء بقصب القنة والقنب والكبريت وعظام الهداهد والسلاحف والتبن ، ويرش على الشجر ما قناء الحمار والترمس والملح بعد طبخه . أو يطبخ قشر الطلع بالماء حتى يخرج قوته ويرش الشجر والزرع به . ثم قال ويدق الشونيز أى الحبة السوداء nigella sativum ويربب بيول الجمال على نار هادئة كذلك سبعة أيام ثم يرش ماؤه على الزرع والشجر فإنه يهلك الجراد والزنابير والزراريح وغيرها . ثم قال : وإن كان الجراد فرخاً فلتحفر له الأخاديد ثم يساق إليها ويحرق فيها أو إلى حفائر عميقة أو أبيار معطلة أو تنصب قدور كبار فيها ماء حار يلقى فيها أولاً بأول ليلاً ونهاراً .

غارات الجراد الحديثة

هذا ما أمكننى العثور عليه فى مخلفات العرب عن الجراد ومقاومته . أما عن غارات الجراد فى العصور الحديثة فى الشرق الأوسط فأقول إنّ من الذين تكلموا عنها بمصر من الحديثين هو الرحالة بورخهاردت وهو سويسرى كريم المحتد أرسلته إحدى الجميات الانجليزية فى رحلة علمية لبلاد الشرق الأوسط فى عهد محمد على فمكث بالشام عامين جاء بعدها إلى القاهرة عن طريق سينا ثم توجه صعدا إلى أسوان فوادى أم جات المتفرع من وادى العلاق حيث شاهد أسرابا من الجراد الشره يلتهم أوراق أشجار السيال وفروعه الغضة ثم سار فى وادى الطرفاوى وبه الكثير من أشجار الدوم والطرفا ونبات السنامكي ورأى أسراب الجراد تجردها من أوراقها وفروعها الغضة . ومنهم كذلك المسيو بوفيه وهو فرنسى استقدمه المرحوم الحاج ابراهيم باشا نجل محمد على الكبير ليكون مديراً لمزارعه وحدائقه وقد أرسله فى بعثة زراعية إلى بلاد اليمن وسينا وفلسطين ، فلما توجه إلى سينا وصل إلى دير سانت كاترينا فى أول يونية سنة ١٨٣٢ فرأى قرب جبل سينا سحابة عظيمة من الجراد من نوع قال عنه إنه قريب من ايدوبودا ميجراتوريا Aedopoda migratoria فالتهمت ما فى طريقها من عشب الأرض وأشجارها فلم تبق ولم تذر .

ولم تتعد أخبار الجراد ما يقوله المسافرون والرحل عنه . فلم تعن الحكومات بأمره إلا من عهد قريب . وبلادنا بلا فخر من أسبق الممالك فى دراسة أحواله والمبادرة إلى مكافحته . ولعل أول

جهود حكومى فى ذلك هو ما فعلته حكومتنا فى غارة سنة ١٨٩١ وإليك ما قاله عنها المرحوم ميخائيل بك شاروبيم فى الجزء الرابع من كتابه « الكافى » : —

ووردت أخبار من بعض مديرى الاقليمين القبلى والبحرى على ديوان الخديوى وديوان الداخلية بظهور الجراد فى جهات الصالحية والزنكلون وتل حوين من بلاد الشرقية . وأهوى وباروط وآها من بلاد مركزى النجيلة والدلنجات والبهودية وقبور الأمراء بالبحيرة وطود ودماريس والبرجين والاخصاص وغيرها بمديرية المنيا وأكثر بلاد القليوبية والمنوفية . وكسا أراضى الجزيرة بالبر الغربى من القاهرة ، وكان ظهوره فى أخريات رمضان فخاف الناس شره واهتمت الحكومة بأمره اهتماما عظيما وأرسلت إلى سائر المديرين والمحافظين بالتشديد على قطع شأفته فجدوا فى تأثره ، وكانت الاخبار ترد تباعا بتكاثره وانتشاره شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وفتكه بكل ذى خضرة من النبات والشجر والنخيل ، وظل الحال على ذلك أياما والناس فى دهشة وحيرة حتى أذن الله سبحانه بأن هبت ريح فى أخريات شوال سنة ١٣٠٠ هـ ورياح مختلفة بعضها من الشرق وبعضها من الغرب ولبست على اشتدادها أياما فاكتسحته وحملت بعضه إلى الحوف الشرقى وبعضه إلى الجبل الغربى ولم تترك منه إلا القليل فى البلاد والقرى التى نزل عليها فأباده أهلها بضرب العصى وسعف النخيل وجدوا فى جمع بيضه وفرضت الحكومة قرشين لمن يأتى بأقة من بيضه ، فتسابق الناس إلى البحث عن مواطنه وإخراجه منها فكان أكثره فى مركز النجيلة بالبحيرة وفى الجبل الغربى وسواحل البحر وفى الفشن بمديرية المنيا .

ومن غريب ما نقل عنه أن سحابة منه نزلت على مزرعة قطن باحدى بلاد المنوفية فأكلتها وما أتت على آخرها حتى ماتت جميعها فجاءت أخرى إلى مزرعة فى جوار المزرعة الأولى فلما رأت ما أصاب الأولى نفرت من النزول على شجر القطن وتحول ضرره إلى الأشجار والنباتات الأخرى . وأخبر جماعة من تجار المنوفية مديرها وحلفوا له الأيمان المغلظة بأنهم شهدوا فى بلاد مركز أشمون جريس طيراً كثيراً جداً أقرب شبها بأبى قردن ولكنه أطول منقارا وقد ترك الجبل أسرابا أسرابا وأخذ يتتبع الجراد أينما وجده ويكبس عليه ويزدرد منه المئين والألوف ثم يتقيأه ميتا وهكذا فلا يرحل عن البلد أو المزرعة إلا وقد افنى ما فيها من الجراد وأباده ، وأن بعض الجهلاء من الفلاحين كانوا يخافون من ذلك الطير فيرجمونه بالأحجار وهو لا يلتفت إلى ذلك ولم ين له عزما . قلت وقد شاهدت شيئاً كثيراً من ذلك الطير نازلا على طول الطريق من نفيشة إلى السويس وهو على هيئة صفوف الجند بعضها خلف بعض ساكن القلب لا يزعجه مزعج ولا يحركه محرك ، وقد أخبرنى بعض أهالى نفيشة بأنه قد نزل عليهم منذ أيام وهو يترصد الجراد الزاحف من بلاد الشرقية إلى الحوف الشرقى حتى إذا مر قام من فوره وسد عليه الطريق وجعل يضربه بأجنحته ومنقاره ويبتلع منه الألف فلا يستقر فى جوفه لحظة حتى يتقيأها فاذا أفلت منه شىء تعقبه وقتله ثم يعود إلى مكانه متربصا. قيل وبقى على هذه الحال أياما حتى قامت تلك الريح واكتسحت ما بقى من الجراد ، فسبحان مدبر الأكوان ومسلط الأبدان على الأبدان إنه خلاق عظيم سبحانه جل شأنه » .

وأغار الجراد بعد ذلك على الديار المصرية فى سنة ١٩٠٤ فورد أول بلاغ عن ظهوره من منطقة العريش فى ٢١ مارس سنة ١٩٠٤ ثم تلته بلاغات أخرى طول شهر إبريل عن ظهوره فى الوجه البحرى وشمال القاهرة . وكانت أرجاله قد جاءت من صحراء العرب وشبه جزيرة سينا ، فأغارت على مديريات الدقهلية والشرقية والقليوبية وكل بلاد مصر الوسطى ومديرية المنيا حتى سمالوط . وصار يضع بيضه أينما حل . واستمرت غاراته طول شهر مايو والنصف الأول من شهر يونيه فلم يترك بلداً من بلاد مصر إلا ونزل بها . وكانت وزارة الداخلية المنوطة بمقاومته وتخليص البلاد من شره فأصدرت إلى رجالها فى الأقاليم المنشورات ليحثوا الأهالى على مكافحته .

وأغار الجراد على مصر بعد ذلك عدة إغارات صغيرة فى سنة ١٩١٤ شوهدت أرجاله خلالها فى أسوان وكوم امبو وأدفو والمعادى وفارسكور وسيدى برانى . ثم تلت هذه الغارات غارة كبرى فى سنة ١٩١٥ فظهرت أسرابه أول الأمر فى الواحة البحرية فى شهر يناير ولكنه لم يبلغ عنه إلا فى ٢ فبراير . وقد شوهدت أرجال الجراد فى وادى الريان والواسطى والصف والعياط وشبين القناطر ونوى وفى أسوان ، ولم ينتصف شهر فبراير إلا وأطبقت جحافله على الوجه البحرى ومديريات الجيزة والفيوم

وبنى سويف والمنيا وأسيوط وجرجا وقنا وشبه جزيرة سينا ، واستمرت غاراته حتى أوائل يونيـه فلم تسلم منه بلد فى القطر المصرى حتى واحة الفرافرة . ووقع حمل مقاومته فى هذه الغارة الكبرى على عاتق وزارة الزراعة فلم تأل جهداً على حداثة سنها (ولدت سنة ١٩١٣) فى مكافحته مستعينة فى ذلك بأحدث ماوصل اليه العلم من وسائل الكفاح مما تجده مفصلا فى تقريرها عن « غارة الجراد الكبرى على مصر سنة ١٩١٥ » فكان مما فعلته أن قررت مكافأة قدرها جنيه واحد لمن يدل على موضع بيض جديد فى الصحراء، فكشفت بذلك مفارز عديدة لبيضه فبلغ ماجمع من البيض فى هـذه الغارة ثلثمائة وأربعين الف أقة تحوى ثمانية وعشرين بليون بيضه . وبلغ مقدار ماجمع من الجراد نفسه عشرة ملايين أقة أى نحو ثمانية بلايين جرادة سوى النطاط

واستعانت وزارة الزراعة فى هذه الغارة بعدة مصالح حكومية كالمالية والمساحة وخفر السواحل وعينت دوريات من الهجانة للبحث عن الجراد فى الصحارى وقد بلغت نفقات هذه الحملة سبعة عشر الفا من الجنيهات .

وأغار الجراد بعد ذلك على مصر فى أواخر سنة١٩٢٩ وأوائل سنة ١٩٣٠ غرته الكبرى التى كلفت البلاد فى مقاومته ربع مليون من الجنيهات .

ومن ثم أخذت وزارة الزراعة فى دراسة أحوال الجراد وغاراته دراسةعامية منظمة، فأنشأت فرعا لأبحاثه ومكتبا لمقاومته ، وأخذت ترسل حملات الاستكشاف فى صحارى مصر وبلاد العرب لتتبع حركاته ومقاومته فى مواطنه قبل أن يستفحل أمره وتصعب مقاومته ، وعقدت المؤتمرات مع الدول المهددة بغاراته للتعاون وتبادل الرأى فى مكافحته . وقد سجل الاخصائيون المصريون بوزارة الزراعة صفحة عالية مجيدة فى أبحاث الجراد وطرق مقاومته . وقد وضعت وزارة الزراعة نظاماً دقيقاً لمقاومة الجراد كفل للبلاد الوقاية التامة من شره وأذاه .

الدكتور محمد مأمون عبد السلام

وقفة على طلـــل !

للأستاذ علي الطنطاوي

[في حمى المسجد الأموي ، وفي ظلال سوره العالي ، بين ثوى البطل الأجل الملك الناصر صلاح الدين والمدرسة الكلاسية الأثرية ، وبين المدرستين القديمتين السبساطية والاخائية ، تقوم المدرسة الجقمقية الخالية المائلة — التي بناها سنجر الهلالي — وجددها الملك الناصر سنة ٧٦١ ثم احترقت فجددها الأمير سيف الدين جقمق فنسبت اليه] .

ما مررت بهذه المدرسة الخربة المعطلة ، وذكرت ما أودعتها من عواطفي ، وما تركت فيها من حياتي ، إلا تلفت القلب ، وسنى الفؤاد ، واعتلجت في النفس خواطر ، وانبثقت للعين صور ، أقر بالعجز عن صوغها ألفاظاً مقروءة وجملاً ، ووضعها في هذه القوالب الجامدة الضيقة وهي أشد انطلاقاً من النور وأوسع من الزمان ... ولا أجد إذا أردت وصفها إلا هذا الحديث المعاد ، وهذا القول المكرر المعار الذي لا يفتأ الشعراء من عهد امرئ القيس الذي وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، يعيدونه ويرددونه ، وهو ما يزال ومعناه جديد في كل قلب ، سريع إلى كل لسان — فأسائل هذه الجدران المائلة ، وأخاطب ... هذه الغرف الخالية ... وآه ! لو تصف هـذه الجدران ما رأت وتنطق الأبواب ، وآه ! لو تعي المغاني وتحدث المباني! وأنّى؟ ! وما وعت قلوب الناس ولا وفت حتى يفي الجماد !

هذه نفسي أسائلها : هل تعرف النفوس الوفاء ، وهي تدور مع الدهر الدوار كيفما دار ، تلبس لكل حالة لبوسها ، وتتخذ لكل يوم ميزانه . فيهون عندها اليوم ما عزّ بالأمس ، ويرخص ما غلا ويغلو مارخص ، نرى الشخص فلا نباليه ، وقبلا كان مناط حبنا ، وكنا نقنع إن كان وصله حظنا من دنيانا ، أو كان موضع إكبارنا وكان رضاه نهاية متمنانا ، ونمر بالمكان لا نلتفت اليه وفيه ذقنا حلو العيش ومره ، وفيه أثر من أنفسنا ، وفيه بقايا من أعمارنا !

لقد عشت دهراً لو قيل لي فيه ، إنه سيأتي عليك يوم تجوز فيه بهذه المدرسة فلا تقف عليها إلا وقفة التذكر والحنين ، ثم تمضي لطيتك وتنساها بعد خطوات ، لما صدقت ! فكيف هانت عليّ هذا الهوان ، وقد كانت بالأمس نصف دنياي . وهل دنيا التلميذ إلا داره ومدرسته والطريق بينهما ؟ وقد كانت أبداً في فكري وحسي : في الصباح حين أتوجه اليها ، وفي النهار حين أكون فيها . وفي المساء حين أعود منها ، قد تجمعت فيها أفراحي كلها وأتراحي ، وأصدقائي جميعاً وأعدائي ، وكانت بضعة مني . بل كيف أنكرت ذلك الطفل الذي كان في سنة ١٩١٨ تلميذاً فيها يحمل اسمي وملامح وجهي ؟ كيف جوزت لنفسي أن أطرح آراءه ، وأهزأ بأفكاره ، وأحتقر ما كان يعظمه ؟ لقد ذهب المسكين ولا أدري أين ذهب ، وجئت من بعده ، ولكنني لم أنس حوادثه. فهل الذاكرة هي الشيء الفرد الذي يبقى ثابتاً في الإنسان ، على حين تبدل العقول والأجسام ؟

سلوا الفلاسفة إن كان عندهم علم ، فما أنا بحمد الله من أهل الفلسفة !

* * *

سلوا الفلاسفة ودعوني أسترجع على باب هذه المدرسة أيامي التي ولّت . ولئن عاد أقوام إلى ماضيهم ليستريحوا اليه ، ويتسلوا بادّكار أحداثه ، فإنما أعود إلى الماضي لأحيا فيه ، وأفرّ اليه من حاضر أمقته وأجتويه . وأنا رجل كلما تقدمت به السنّ ازداد إيغالا في عزلته ، وهرباً من جماعته ، فكأنه يقطع كل يوم خيطاً من هذا الحبل الذي يربط زورقه بآلاف الزوارق الصغيرة التي تمخر عباب الحياة مجتمعة ، كما كانت تجتمع السفن إذ تجوز بحر الظلمات ، فلا تخوض فيه ماء بل نارا ، نارا من تحتها لا تعلم متى تنفجر فتزلزل أرض البحر وتشعل جبال الموج ، وأخرى من فوقها تحط عليها السماء رجوما ، وتفتح عليها من جهنم أبواباً ، وإن عباب الحياة لأشد من ذلك شدة وأعظم هولاً

... حتى غدوت وقد رثّ حبلي وتصرم الاخيوطا ، طائفة من الأصحاب لا يبلغون عد أصابع اليدين ، وأماكن هي أقل من ذلك ، لا ألقى سواهم ولا أرتاد غيرها . ولم يبق لي في لياليّ الطوال مؤنس أو سمير ، إلا هذه الكتب التي مللتها وملتني ، وصارت مودتنا تكلفاً وحديثاً مملولاً . وهذا الماضي ازداد كل يوم تعلقا به وحنيناً إليه ، أما المستقبل فأخافه حقاً ولا أجرؤ على التفكير فيه

لذلك تراني إن لقيت رفيقاً من رفاق الصبا استوقفته وشممته عليّ أجد في ثيابه عبقاً من أزاهير الماضي الحلو الذي سرّ بنا جميعا يحملنا مرح الطفولة وعبثها اللذّ ، فجسنا خلال رياضه ، وأوغلنا في دروبه المشبة ، ومسالكه التي فتّح على جانبيها الأقحوان وضحكت الشقائق ، أحاول أن أستطلع من وراء هذا الشباب الذي نالت منه الليالي حتى أشرف على الكهولة ، وهدته مطالب العيش وأخذت منه رواءه وبهاءه ؛ فبدا كالشجرة المنفردة القائمة على شفير الوادي ، عاجلها الخريف الظالم ببرده وعواصفه ... أحاول أن أرى من ورائه طلعة (ذلك) الصبيّ الفرح أبداً ، الضاحك اللاهي، الذي كان رفيقي يوماً والذي أحببته وقاسمته مرحه ولهوه ، فإذا لم أرها أبْتُ أجرّ رجل خائب فجع في أعزّ آماله ؛ وفقد أحب أمانيه إلى قلبه ، وإن وقفت على معهد من معاهد الصغر ، أوملعب من ملاعب الطفولة ، فتشت في زواياه وأركانه ، وتحسست الحجارة من جدرانه ، عليّ أجد بينها ذكرى حلوة قد خبأتها يوماً ونسيتها .

ولذلك وقفت اليوم على (الجقمقية) ولكني لم أجد فيها ما أريد . لقد عدا سارقان على أحلى ذكرياتي فسرقاه في غلس الليل ، كما يسرق النباشون الذهب من قبور الفراعنة ، ولم يدعا لي إلا كل تافه حقير ، فماذا أتحف القراء بعد الذي صنعه معي هذان اللصان : الزمان والنسيان ؟ !

***

هذه هي المدرسة التي أودعتها عهد الطفولة وذكرياته العذاب ، لا تزال قائمة جدرانها ، ماثلاً بنيانها ؛ وهذه هي الطرقات التي كنت أسلكها غادياً إليها من داري ورائحاً منها إليها ؛ وهذا هو (الأموي) العظيم الذي كنا نعرّج عليه كل يوم بكرة وظهراً وعشية ، وما بيننا وبينه إلا أن نخرج من باب المدرسة فندخل من بابه ، نتغافل (الحكي) ونقفز ، فيلحقنا بعصاه ونحن نتضاحك ونروغ منه نعدو في صحن الجامع الواسع النظيف ، حتى يكل المسكين ويتعب فيدعنا مكتفياً بما تيمدّه به قريحته من روائع فن الهجاء ، فإذا انصرف عنا ، وذهب الحافز لنا على اللعب ، عقلنا ودخلنا نستمع إلى أصحاب الحلقات فيه . هذا هو (الأمويّ) لا يزال على عظمته وجلاله ، لا يدانيه في سمته وفخامته مسجد في دنيا الإسلام ، غير أن صورته في ناظري قد تبدلت وامحت روعتها وبطل سحرها . وماذا تصنع الجدران والسقوف إذا ذهبت الوجوه ، ومضى الساكنون ، وتغيرت الروح ؟ لقد أضحى الأموي غير الأموي ، فلا دروسه تلك الدروس ، ولا علماؤه أولئك العلماء . ولا جوّه ذلك الجو . إن المدن كالأشخاص تخلق كل يوم خلقاً جديداً . وقد ماتت دمشق التي نشأنا فيها ، دمشق الإسلامية المرحة الفاضلة التي لم يكن فيها ماخور مشهور ولا ميسر ظاهر ولا عورات باديات ، ولا حانات ولا ملهيات ، وكانت فيها المرأة لبيتها ، والرجل لأهله ، والعلماء عاملون بعلمهم ، مطاعون في أممهم ، والحي كالبيت الواحد في تعاون أهله وتعاطفهم ، والمساجد عامرة والرجولة بادية ، وأهل الدين لا يأكلون به الدنيا ، ولا يتخذونه تجارة . فيا أسفي على دمشق التي ماتت ! ويارحمة الله على تلك الأيام : أيام لم نكن نعرف من الدنيا إلا المتع الفاضلة ، والفضائل الممتعة ، نلهو ونلعب ولا كلهو فتية اليوم ولا كلعبهم . كان أقصى ما نأتيه أن نركض في الأموي ، أو ننقسم عند المساء قسمين ، فنقيم بيننا سوق حرب سلاحها المقالع والعصى ، وقد نجرح أو نكسر ، ولكننا نتعلم الرجولة والقوة ثم نرجع متفقين ، وأن نتلهى عن الدرس بقراءة قصة عنتر وحمزة البهلوان ، نتلقى منهما ما ينقصنا من علم الكر والفر والمبارزة والقتال ، وأن نمكر بالمدرسين ، وإن أمنا لهواً وأردناه ، فشهود خيال الظل (كراكوز) وهو سينما تلك الأيام ، ولا يراه منا إلا مقدوح في خلقه . أما التأنق والتجمل والترقق فلم نكن ندري منه شيئاً . وكان من العيب في أيامنا لبس البذلات لما تصور من أعضاء الجسم ، فكنا نجيء إلى المدرسة بالقنابيز (الجلاليب) ، وكنا نتعجل الشباب فنتخذ دواء (كان معروفاً) يطول به الشارب وينمو به قبل الأوان .

فأين أيامنا في هذه المدرسة ، وهل تعود هذه الأيام ؟ أين ذلك الشيخ الحبيب الى كل نفس ، الجليل في كل عين ، شيخ الشام ومعلمها ستين عاماً ؛ ستين عاما وهو دائب على عمله العظيم يأخذ من هذه الأمة أطفالا صغارا ، فيردهم إليها شباباً متعلمين ، يصب من عقله الذي يزيد على البذل في أدمغتهم ، ومن ايمان في صدورهم ، فتعلم منه الولد وأبوه وجده . أي والله وهذه سجلات

مدرســـة فسلوها تنبئكم ، ذلك هو الامام الشيخ عيد السفرجلانى .

***

هذه هى المدرسة ! هذا البنيان فأين السكان ؟ أين رفاقى فيها ؟ أين من كان يجمعهم مقعد واحد ، وكانوا سواء فى كل شىء لا يمتاز أحد منهم على أحد إلا بمقدار ما ينجح فى درس ، أو ينال ثناء من أستاذ . وكان فلان الفقير عريف الصف والمقدّم فى التلاميذ . وكان الشيخ يتخذ منه مثلا مضروبا لأبناء الأغنياء ، ويبشره بالمجد والمال والرتب ، وبأنه سيمشى على الورد المفروش حين يمشى أولئك على الشوك .

رحمك الله يا شيخنا فلقد أصبت فى كل ما كنت تقول إلا فى هذا . تعال انظر تر الدهر قد ضرب بيننا ، ففرق الإخوان ، وشتت الخلان ، فتفرقوا فى آفاق الأرض ، وانتثروا على سلم الحياة علاء وخفضاً ، وسار الأكثرون على الأشواك فدميت أقدامهم الحافية ، ومشى قوم على الورد والفل والياسمين ، وحازوا المال والمجد والرتب ، ولن أسمّى لك أحداً كيلا أفجعك بآرائك وفضائلك !

لا . لا أحب أن أعود إلى هذا الحاضر فدعونى أستمتع بادّكار ماضىّ كما يستمتع المنقطع فى البادية بما بقى فى سفرته من زاد المدينة التى خرج منها وأضاع طريق العودة إليها . إنى أبصر كل ما حولى قد تغير فانكره وأحسّ كأنى صرت غريباً فى وطنى ، ولقد كنت أنا وأخى أنور العطار لا نزال نحن إلى الوطن ونراه فى صفحة البدر عند المطار ، وفى صفحة دجلة على الجسر . فتسيل قلوبنا رقة وشوقا ، ونحن فى بغداد بلدنا وبلد إخوة لنا أعزة كرام . وطريق الشام مفتوح ، فكيف بمن صار يحسّ أن وطنه قد طواه الزمان ، واختبأ وراء السنين ولم يبق إليه من سبيل ؟

فيا أيتها المدرسة — خبرينا لماذا لا نستطيع أن نعود أدراجنا فى طريق الزمان — كما نملك أن نرجع فى طرق الأرض ؟ لماذا لا نقدر أن نقف فى الفترة السعيدة من أعمارنا ، كما يقف المسافر فى البقعة الجميلة إذا جاز بها ؟

إذن لعدت أدراجى فلصرت العمر كله تلميذاً فيك ، أستمتع بجوار ذلك الشيخ النورانى ، وأعيش فى جو أنيس من نصائحه ومواعظه وقصصه ، وأبقى أبداً ذلك الطفل الذى لا يدرى ما الشرّ ، هذا ما تمنيت أن أكونه وهيهات أن تتحقق الأمانى الكواذب !

***

إنى كلما رأيت هذه المدرسة خالية خاوية خربة لا يحفل بها أحد ، ولا يذكر شيخها إنسان ، أيقنت أن الجحود سجية فى هؤلاء الناس . أتنسى دمشق شيخها ومعلمها الذى أحسن إليها ؟ إن هذا الشيخ إن لم يكن عالما مؤلفا ، ولا سياسيا حاكما ، ولا فيلسوفا مفكرا ، فلقد بنى فى نهضة دمشق ركنا لم يبن أضخم منه عالم ولا حاكم ولا فيلسوف . لقد كان معلم أولاد ولكن أولاده صاروا قادة هذا البلد . لقد أنشأ مدرسة منظمة يوم لم يكن فى دمشق إلا الكتاتيب . لقد كان مربياً بالفطرة لم يقرأ بستالوسى ، ولا تعلم أصول التدريس ولكنه كان أحسن مربّ رأيته …

… فيا أيها القراء لا تقولوا ، ومن الشيخ عيد السفرجلانى ، وماله يملأ صفحات الرسالة بأخبار نكرة فى الرجال … فكم فى ظلام النسيان من عظماء حقا ، وكم فى ضياء الشهرة من أصنام قائمة نظنها ناساً ، وهى مبنية من جامد الصخر ، أو بارد النحاس !

دمشق (المحكمة الشرعية) **على الطنطاوى**

رحلة أسوان

للسيدة وداد سكاكيني

جئت مصر من الشام في يوم وبعض يوم ، تخب بنا مراكب الحديد ، وأين منها مطايا البيد ! حتى بلغنا القاهرة فطالعتنا مواكب النخيل على لحات النيل ، وقد غمرت الآفاق شمس حمراء مازالت منثورة النور ، وهاجة الضياء ، حتى ألقى بنا القطار على محطة باب الحديد .

دخلت مصر يتنازعني الوجوم للغربة ، والشوق لبلدة طالما هفا الخيال إليها ، واستقرت بها نواي وقرت بها عيني ، فتغمرت من النيل ، واستذريت بظل القطم كما قال الشاعر ، وقد طوفت بحدائق مصر ومغانيها ، وما فاتني مفاتن الجزيرة وساهج الطبيعة فيها ، ثم وددت أن أملأ العين من ريفها ، وأستمتع بنيلها الذي يفيض على جنباتها ، فمضيت في رحلة فنية إلى أسوان ، أنشأها المعهد العالي لمعلمات الفنون ، وهو بنية مجد للمرأة العربية ، وجامعة ثقافة للمصريات ، أضفت عليه عميدته الفضلى السيدة عائشة إقبال راشد من اسمها ونفسها رشداً وإقبالا .

غادرنا القاهرة مع بضع عشرة فتاة من قسم الفنون الجيلة بالمعهد ، تحدوهن صديقتاي الأستاذتان إنعام سعيد وعزيزة يوسف ، وهما في طليعة من أنجبت مصر من بناتها اللاتي ضممن في الجوانح حب الوطن إلى ثقافة الغرب الذي نزلن معاهده سنين للقانة الفن ونباهة الفكر ، ثم عدن إلى الكنانة يطبعن الفتيات المتعلمات بمياسم التجديد ، ويكشفن عن مواهبهن بالتوجيه والتسديد .

فهذه محطة باب الحديد تلقاني مرة ثانية ، تحت عشية غير مبتئسة ولا واجمة ، منيرة بمصابيح تكشف الشمس بسطوعها ، فأين نفسي الفرحة في هذه الأمسية من قلبي المحزون حين بلغت مصر منذ عام والوحدة مهيمنة علينا ؟

الآن أدرك عظمة المكان ، وأحسبني لولا العمائم البيض تلوح بها الهامات ، والجلابيب الضافية تخفق فيها القامات ، لكأني أبرح عاصمة في ديار الغرب ، فقطار يؤج ويعج ، وناس يغلي بهم الزمن يخفون إلى الركوب أو ينزلون من التوديع .

ودق ناقوس الرحيل فوجف القطار ثم سار تحت جنح الليل ، وبانت مصر خفية في طي الدجى عنا ، وتنورت المصابيح كلما ابتعدنا ، حتى عطفت بنا الدروب وهدهدنا في مجاثمنا دوى القطار وهدير آلاته ، وكاد النعاس يأخذ بمعاقد جفوننا لولا أنس الرفيقات . ولولا مرح الطالبات واستفاضة النكتة على أطراف ألسنتهن ، لغططنا في سبات عميق كما يغط الطفل حين يترجح به السرير .

وكنا نتلفت بين الفينة والفينة ، فنطل من النافذ ، والركب يسري كسهم نزعه العلم عن قوس الحضارة ، فنمسك رؤوسنا عن صفقة الريح ، ونحبس شعرنا عن التشعيث ، وهاج فينا الحنين لمرأى النيل حين سكب القمر عليه شعاعه ، فانسحب كسيف من فضة مسلول على أرض مصر ليدفع عنها عاديات المحن .

وأسفر الصبح على رؤوس النخيل يلتمع الندى على أوراقه الخضر ، وتستدير سعفه فتبدو من بعيد كالقباب الصغيرة ، ومن قريب كالمراوح المنشورة أو المظلات المرفوعة ، وصاغت لنا ذكاء وجه النيل بالذهب فتألقت تلاميعه وتلوّت على حواشيه ، ولاح كمرآة مجلوة تتمرى بها الطبيعة على نشيد طيبة الذي كان رقراق الماء يردده لحناً مكروراً منذ الأزل باقياً على الأبد .

وأخذ يشارفنا الريف بصوره المتشابهة وألوانه الكابية ، وقد انطبعت بيوته بطوابع الروح المصري القديم ، فلاحوه سمر الوجوه عراض المناكب ، سكبوا على الأرض عرق الجبين ، وعركوها بكدح الأيدي ، وطفحت شفاههم بالمباسم لصباح وضاح لا يسأم القروي الفرحة بلقائه ، ولو لقي هذا الفلاح من سيده بسمة الشاكر ورحمة المالك وكان أبيّ الخنوع ، مطبوع الميل للنظافة متقبلاً للاصلاح ، لعُدّ أعز أمثاله في الدنيا ، لأن ضفاف مصر الخيرة أجود أرض للزرع والإنبات

أما نساء الريف قويمات الوجوه منتصبات القامات ، يستقبلن وجه النهار غاديات بالجرار على رؤوسهن ثم رائحات من مسارب النيل ، وهن يشاركن الرجل فى خدمة الأرض والأنعام ، وكلما وقف بنا القطار على ديار ذكرنى بأرض بلادى ، فمن مشارف الشام إلى مرابع بيروت يقف أولاد القرى تلقاء القطار فى المحطات ، بأيديهم سلال أو قصاع ممتلئة بالفواكه ، ينادون على بيعها ، وصنوف الباعة طوّافون بخبز وإدام على سفر بغير زاد ، ولم أجد مثل هذا فى مسيرى على درب أسوان .

وجزنا أرضاً فى جوارها الأقصر الحافلة بالآثار ، فأمعنت التحديق فى تلك الجنبات التى عاشت فى تضاعيفها وجوفها خيالات الأقدمين وأطيافهم ، وبقيت روعة الأطلال والآثار تدل عليهم ، وقد برزت من بعيد تلك العمد الفرعونية ولاحت من بين أعمدة النخيل فقلت : يالله كأنى الساعة أمضى بقطار حلب فأمر ببعلبك ، وأرى عمد هيكلها الرومانى تتراءى من بعيد من بين أشجار الجوز والمشمش ، ورحت أذكر أرضاً على وجه الشرق تعاورت عليها الأمم من رومان وإغريق وفراعنة وفينيق ، حتى بسط عليها الإسلام جناح الأمن والرحمة ووهبت لها العروبة لغة القرآن ، فكان عليها خير أمة أخرجت للناس ، وما نقلنى من تهاويل هذا الخيال سوى بشرى الرفيقات باقتراب الوصول إلى أسوان .

وأسوان بلدة دون سعة صيداء ــ لبنان ، تساير ضفاف النيل فى مبانيها وحدائقها ، وإنها لشعرية الطبيعة ، هادئة القامة ، هفهافة النسيم .

على رؤوس رجالها عمائم بيض لاثوها كأنهم الهنود ، ونساؤها ملتفات بالسواد ضاربات على وجوههن بخُمُر مصرية ، سجنت الخدين وأطلقت العينين .

هنالك دعينا إلى متنزهات على النيل ، فبدا ثمة نهر مصر كما يسميه أهلوها بحراً رحيب الصفحة متراى الـ حة ، وحملنا ذات صباح مركب بشراع مال بنا مترنحاً على خطرات الريح ، فذكرت تحت شراعه وصف شوقى « النيل نجاشى والفلك حمامة بيضاء بجناح واحد » وسألت نفسى كيف زهد شعراء مصر وهم غنية الأدب بوصف هذه المباهج والمغانى كما زهد شعراؤنا بالشام فى وصف طبيعتها ومفاتنها ، وما مصر سوى النيل الذى وهب لها البركة والحياة وكتب لها المجد والخلود ، فلو أحصى ما قال الفرنسيون عن نهر السين وحده لجاء أكثر من ديوان ، وما نظم القدامى والمحدثون من أمم الحضارة والثقافة فى وصف بلادهم تضيق به الأسفار الضخام .

ذلك دأبنا نحن الشرقيين ، فننا فى جيوبنا دفين ، وشعورنا فى جمال أرضنا وسمائنا مكبوت أو كمين . ذكرت هذا فى السفينة الشراعية التى نقلتنا إلى جزيرة الملك بأسوان ، التى اشتملت على حديقة واسعة فينانة ، ذات أدواح باسقة عتيقة ، وأشجار لفاء مثمرة حديثة الزرع إفريقية المنشأ ، وقد التفت غصونها وتكاثفت أوراقها ، وحشدت فى الحديقة أفواف الزهر ونسقت مغارسها يد صنّاع ، وفى هذه الجزيرة الغناء تناثرت طالبات الفنون على حفافى النيل وفوق جماجم الصخور بأيديهن الألواح والتلاوين ، وطفقن يستوحين الطبيعة المصرية الخالبة ويتنافسن فى رسم صورها الرائعة مرضاةً لمواهبهن المتفتحة واكتساباً لتشجيع رئيستهن الفنية النابغة السيدة زينب عبده .

ولاحت لنا من على عدوة أسوان قبة الهواء تتناوح فيها الريح فوق جبل أسندت فيه رشيقات الأجسام ممن احتملن نقل الأقدام على الرمال حتى أشرفن على النيل وطوفن بمقابر الأمراء ثم صَعَّدن فى الروابى والشرفات .

وزين لنا الإلمام بالقبائل التى اعتزلت فى ضاحية من أسوان كأنها الصحراء ، فرأينا فيها رقص بناتها وترنح شيخاتها ، وإنها لزمر تسكن الدور وتعيش على الفطرة نائية عن الحضارة ، وفى ضاحية ثانية تقام كل خميس سوق عامة كسوق الجمعة فى صالحية دمشق ، يبسط فيها للبيع كل أوعية ومتاع ، ويتنافس الباعة من نسوة ورجال فى عرض بضاعتهم المزجاة ، ويزدحم المساومون حولها .

ثم كان يومنا الأخير فى أعز ما عند أسوان وهو الخزان ، فركبنا سفينة تجرى بالبخار ، حملتنا فى مؤنس الضحى على متن

النيل إلى مجثم الخزان ، فإذا هو متحبس ماء جبار رابض فى قاع من جلمد الصخر ، شيدته معجزة العلم الحديث بين ضفتين شاسعتين ومرتفعات راسخة ، حصرت الماء الذى رأيناه منبثقاً من خلال الخزان ، وكأنه أسنان مشط برجل ضفائر عروس النيل ، فكان الزبد يعلو ثم يهوى فيتفجر دقيق الرؤوس ضخم الأجسام ثم تتناثر منه الأقدام رذاذ كأنه ضباب أو دخان .

وتولّع بنا صبية عوّامون فى النيل حول الخزان ، وما راعنا إلا صغير منهم أسود الأديم قفز من ارتفاع عشرين متراً فهوى إلى الماء جنبنا وكأنه باشق حالك ، ولما غاص فى الماء ثم عام أخذ يتقلب وكأنه سمكة سوداء .

وكذلك عدنا من أسوان ، بسيرة يوم وبعض يوم ، معنا لذكراها أوعية من القش موشاة بالألوان ومراوح منسوجة ذوات طرر ، وقلائد من العاج سآخذها معى إلى الشام لأذكر بها أسوان كما ذكرتها من قبل إذ قرأت كتب العقاد .

(القاهرة) وداد سكاكيني

بعـــــد الرصافى . . .

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

الآن ختم جيل الشعر فى العراق ، وانطوت صفحة أخيرة من كتابه ، بعـد أن فاضت روح معروف الرصافى . فقد توفى صباح يوم الجمعة الماضى ، المصادف ١٦ آذار سنة ١٩٤٥ فى الأعظمية ببغداد .

وبموت الرصافى تبدأ صفحة جديدة فى عالم الشعر العراقى ، وتنتهى سلسلة الشعراء الكبار الذين امتدت حياتهم بين القرنين التاسع عشر والعشرين ، والذين كان آخرهم فى العراق — قبل الرصافى — جميل صدقى الزهاوى .

وحياة الرصافى تختلف عن حياة كل من عاصره من الشعراء من عدة وجوه . وليس المجال متسعاً للافاضة فى تاريخ حياته ، لأن ذلك لا يتسع له مجـال محدود ، بل الأجدر أن تقوم فئة بتدوين حياته تدويناً علمياً ، ولكن نقطة الاختلاف التى أشرت إليها تنحصر فى عقدة نفسية كانت باررة فيه . هى شدة حبه المطلق للحرية بجميع معانيها ، حتى لقد كان هذا الحب الجارف أشبه بالقيد الذى قيد حياته ، وأثر فى نفسه تأثيراً عظيما . فهو من قبيل القيد النفسى الذى تقيد به العبيد والمتصوفون . ومن مظاهر هذا القيد الخفى فى نظرى ، حياته الأخيرة البائسة قبيل وفاته ، حيث انزوى وانقطع عن العالم ، وأصبح يعيش مهملا .

ومن المآسى النفسية أنه كان فى وضعه ذاك يأنف أن يشار إلى حالته بغير ما لا يأتلف وكرامته الجريحة . فقد أذاع بياناً على الناس قبيل وفاته رفض فيه النغمة التى كانت تردها بعض الصحف عن بؤس حالته وقال إنه يتبع فلسفة أبى العتاهية الذى يقول :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

وهذه حركة تدل على أنفته وكبريائه الجريحين اللتين خفف من حدتهما السن والمرض .

ولقد أدى الإهمال وسوء الحال بصحة الرصافى إلى التردى يوماً بعد يوم مع أنه يملك جسما يكاد يكون عملاقاً . ومن ميزاته الشكلية وضوح النظرة ، وجهارة الصوت ، وقوة العارضة .

***

عرف الناس الرصافى الشاعر الذى لا حدود لصراحته ولا رقيب على لسانه غير ما يعتقد ، منذ زمن بعيد ، كما عرف بكرمه الزائد وعدم انصياعه للضرورة مهما كان شكلها . وهاتان الخلتان تكفيان لأشقاء فرد فى العراق لا مال له ولا سلطان ، ولا يعتمد اعتماد القرابة أو النسب على ذوى المال والسلطان . ولذلك كانت حياته سلسلة من تشرد ضيق الحدود ، فيه فوق صفة التشرد التزام الحشمة التى ينبغى على رجل كالرصافى أن يؤدى جزيتها .

فمن غريب المفارقات أن الرصافى كان يستخدم اسمه وشهرته وحب الناس له فى قضاء حوائج غيره ممن لا يرتدعون عن اللجوء إليه فى طلب الشفاعات ، ولعله كان أجدرهم بطلب الشفاعة لو أنه كان يأبه للضروريات ، ولو أن نفسه تقبل التوسيط والرجاء .

ولقد نبذ الزى المدنى منذ زمن والتزم زى البدو من العشائر ، وسكن قبل مدة فى الفلوحة إحدى القرى القريبة من بغداد ،

الأفغاني والوحدة الإسلامية

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

— ٢ —

بين غسق القرن الغابر، وغلس القرن الحاضر، اشتد إمعان تركيا في الضغط على الشرق والاستبداد بأبناء العروبة حتى قيما عس دينهم وينال اختصاصهم، ومن ناحية أخرى أخذ طمع الاستعمار الأوربي يفتح فاه على الشرق يريد التهامه ويطمع في ابتلاعه، وقد ابتدأ يتخطف أجزاءه، ويتحيف جوانبه . مرة بالحيلة، وأخرى بالوقيعة، وثالثة بالسطوة والقوة، وكان من هذه « الرزايا التي حلت بأهم مواقع الشرق أن جددت الروابط، وقاربت بين الأقطار المتباعدة بحدودها، المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها، فأيقظت أفكار العقلاء، وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة أمرهم، فتقاربوا في النظر، وتواصلوا في طلب الحق، وعمدوا إلى معالجة علل الضعف، مؤملين أن يسترجعوا ما فقدوا من القوة، راجين أن تمهد لهم الحوادث سبيلا حسناً يسلكونه لوقاية الدين والشرف،.. وطفقوا يتحسسون أسباب النجاح من كل وجه، ويوحدون كلمة الحق في كل صقع، لاينون في السعي، ولايقصرون في الجهد[1] » ، وكان رأس هؤلاء المصلحين الداعين السيد جمال الدين الأفغاني رضوان الله عليه .

هال الأفغاني أن يرى الشرق بين أنياب الاستعمار الأوربي تنوشه من كل جانب وتدميه في الصميم من قلبه ووجدانه، ومع هذا فهو يغط في سبات عميق، وأهله في فرقة كلها التخاذل والتنافر، والدولة التي تحمل لواء الخلافة ليست لها صلات صحيحة — كما يقول — بأمم الشرق وأقطار العربية، وقد كان الرجل يعجب أشد العجب إذ « يرى للمسلمين شدة في دينهم، وقوة في

(١) افتتاحية العدد الأول من العروة الوثقى التي كان يصدرها جمال الدين ومحمد عبده .

وعاش عيشة المزهدين المتصوفين، ثم انتقل إلى الأعظمية قرب بغداد حيث ختمت بها أيامه .

وهذا التغير هو الآخر يدل على حبه للحرية ؛ فإنه لم يرض أن يتقيد بالزي «الأفندي» وقبل أن يلتزم قيد اللباس العربي البدوي . ولعله لم يشعر بالنقلة شعور الذي يتفرج عليها، بل لعله لم يشعر بها مطلقاً .

***

لا أظن قلباً إنسانياً ينبض بحب الإنسانية لا تحركه هذه الكلمات البسيطة من وصية الرصافي التي كتبها قبل أن يموت :

« لا أملك شيئاً سوى فراشي الذي أنام فيه، وثيابي التي ألبسها، وكل ما عدا ذلك من الأثاث الحقير الذي في مسكني ليس لي، بل هو مال أهله الذين يساكنونني . كل من اعتدى علي في حياتي فهو في حل مني . وإن كان هناك من اعتديت أنا عليه فهو بالخيار، إن شاء عفا عني، وإلا قضى بيني وبينه الله الذي هو أحكم الحاكمين » .

في هذه الكلمات أتخيل الرصافي كالأسد الجريح.. الأسد الذي هدت من حياته تصورات الموت وسخف الحياة الماضية . إن هذه النغمة ليست نغمة المستكين الضعيف، ولكنها نغمة القوي الذي وضح لعينه سخف القوة والأقوياء .

لقد كانت في حياة الرصافي عدة دروس جديرة بالاعتبار . ومما لا شك فيه أن ستقوم هنا وهناك حفلات التأبين، وسنسمع أصوات أولئك الذين يمجدونه ويلهجون بحمده وحمد شعره وآثاره . ولكن لن يكون لكل هذا من جواب من الرصافي نفسه، لو أنه يطلع عليهم من وراء الحجب، غير ضحكة الاستهزاء والسخرية . فما كان أكثر تمريضه بهذه الأساليب التكريمية وقلة جدواها

هل سنتعظ من درس الرصافي هذا ؟

أشك في ذلك .

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

إيمانهم ويقينهم ، يباهون بها من عداهم ، حتى ليشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء » ومع هـذا يراهم « فى شقاق مقيم ، وتنافر أليم ، وغفلة عما ينتظرهم ، ويلم ببعضهم » .

أقول هال السيد الأفغانى ما رأى وما كان يتوقع من مقدمات الحوادث ، وأفزعه ذلك الشتات فى الجامعة الإسلامية ، وتحقق له أن الفرقة علة الشرق المتوطنة ، وداؤه المتمكن ، فنهض يصيح « بأرباب الغيرة من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحجة والحق ألا يتوانوا فيما يوحـد جمعهم ، ويجمع شتيتهم ، وأن يتعاونوا على صون الوحدة عن كل ما يثلمها ، فيكونوا بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة ، وطلبوا سعادة ، والرمق باق ، والآمال مقبـلة » ، ولقد كان ذلك المصلح العظيم يرى أن قيام هذه الوحدة للمسلمين « مما تقضى به الضرورة ، وتحـكم به العادة ، حتى يقيموا بذلك سداً يحول عنهم تدفق السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب ، ومن ثم ظل طول حياته ينهض بهذه الدعوة . وينادى بضرورتها فى كل مناسبة سانحة ، وفى كل مكان تنزل به قدمه ، ثم أراد أن ينظم سبيل الدعوة ، وأن يقوى من صوتها وأغراضها ، فأنشأ جمعية « أم القرى » وهو فى مكة لتدعو إلى الجامعة الإسلامية تحت لواء خليفة واحد يسيطر على العالم الإسلامى أجمع ، ثم ألف جماعة « العروة الوثقى » وهو فى باريس من مسلمى الهند ومصر وشمال أفريقيا وسوريا ، وأصـدر بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده مجلة « العروة الوثقى » لساناً لحالها وتعبيراً عن أغراضها ، وكان هدفها وحدة المسلمين وإيقاظهم من سباتهم ، وتنبيههم إلى المخاطر التى كانت تهددهم ، وإرشادهم إلى سبل مواجهتها والتغلب عليها[1].

كانت دعوة جمال الدين تتلخص فى أن الوحدة بين المسلمين ضرورة تقضى بها الطبيعة والعادة ، ويؤيدها العقل والنقل ، وتقرها شواهد التاريخ للجماعات البشرية ، وعوامل الاجتماع والألفة بين الأمم والشعوب ، وكان يضرب لذلك الأمثال والسوابق فى تاريخ الوحدة الإسلامية فى الصدر الأول ، والوحدة الجرمانية فى العصر الحديث ، أما المبررات والدعائم التى تقوم عليها هذه الوحدة ، فقد أشار إليها إشارة عابرة فى إحدى مقالاته إذ يقول : « إن من أدرنه إلى بيشاور دولاً إسلامية متصلة الأراضى متحدة العقيدة لا ينقص عددهم عن خمسين مليوناً[1] ، وهم ممتازون بين أجيال الناس بالشجاعة والبسالة ، فلو اتفقوا فليس ذلك ببدع بينهم .. » ، ومعنى هذا أنه يرى أن الدعائم لتحقيق الوحدة ترجع ، أولا : إلى اتصال الأراضى وتجانس الوضع الجغرافى بين الأقطار الإسلامية ، وثانياً : إلى اتحاد العقيدة التى تربط القلوب وتؤلف النفوس وتوحد بين الأحساس والاتجاه ، وثالثاً : كثرة العدد ، وهذا مما يجعل الوحدة قوة يحسب حسابها ويخشى بأسها ، ورابعاً : ما يتجلى فيهم من صفات الشجاعة الموروثة ومآثر الرجولة الكامنة ، وهذا ما يقوى الأمل فى قدرة الوحدة على مواجهة الخطوب والتغلب على الصعاب التى تحيط بها ، وحطم الأنياب المسنونة لانتهاشها .

ثم يشرح الأفغانى غاية ما يرجو فى قيام الوحدة ، ومدى ما يطمع فيه من الوضع الذى تتحقق به فيقول : « لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصاً واحداً ، فإن هذا ربما كان عسيراً ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى جهده لحفظ الآخر ما استطاع ، ويعتقد أن حياته بحياته ، وأن بقاءه ببقائه ، على أن تكون أول صيحة تبعث على الوحدة وتوقظ من الرقدة ، صادرة من أعلاهم مرتبة ، وأقواهم شوكة .. » ، وهنا يبدو الرجل فى الواقع حكيما فطناً ، وسياسياً عالماً ببواطن النفوس ، فلم يركب الشطط فى الطلب ، ولم يسرف على نفسه وعلى الناس فى الخيال ، فيرجو وحدة يكون مالك الأمر فيها شخصاً واحداً ، لأنه كان يعرف أن الأنانية المتسلطة على نفوس أهل السلطان لا تؤهلهم إلى إنكار ذاتهم ونسيان أنفسهم ، ولا تسمح لهم بفناء أشخاصهم فى شخص و[illegible]د من أجل مصلحة المسلمين ووحدتهم العامة ، ولهذا

(١) راجع ما كتبه الشيخ رشيد فى الجزء الأول من تاريخ الامام .

(١) كان هذا العدد فى تلك الأيام

وقف فى رجائه عندما يسمح به الواقع ، وتجود به الطبائع ، ويكفى فى تحقيق الغرض ، ولعل الأفغانى لم يقتصد فى وجه من وجوه الدعوة كما اقتصد فى هذا الموضع الدقيق الذى كان يتعاظمه الناظرون فى مسألة الوحدة ، ويرونه عقدة المشكلة وعقبة الطريق ، فتغلب عليها الرجل بالتغاضى عن مظاهر السلطان الشكلية ، وإن كان أحكم الرباط المنوى فى القصد والغاية ، والشعور والاتجاه ، حتى يكون الجميع يداً واحدة ، ووجهة متفقة ، وقوة دفاعية لصد التيار الجارف ، وهذا غاية ما تطلع إليه الآخذون بخطة الأفغانى من بعده ، وهو الوضع الذى قام عليه « بروتوكول » الجامعة العربية وميثاقها فى هذه الأيام .

وتحدث الأفغانى عن الأداة التى تهيئ للوحدة ، وتجمع حولها العواطف والميول ، وتغرسها عقيدة فى النفوس وفى القلوب ، وحاول أن يجد هذه الأداة فى الصحافة التى كانت قائمة فى أيامه ، ولكنه لم يكن على ثقة بها ، يراها قليلة الغناء والفائدة ، وضرب المثل بما كان من سوء تأثيرها ودعوتها إلى التفرق والانقسام وتبديد بقايا الالتئام ، وجعلها النوافذ والخصاص فى بنيان الأمة أبواباً ليدخل منها الأجنبى ، وكان هذا رأيه فى ناشئة المدارس المدنية فى مصر وتركيا لأنهم أضعفوا الأمة بدلا من أن تنال بهم القوة والمنعة ، وكل بضاعتهم التفيهق بألفاظ الحرية والوطنية والمدنيــة ، وهم لا يدركون مغزاها ومرماها ، ولا يقدرون تكاليفها ، وغاية ما لهم هو الإسراف فى تقليد الأجانب والانسلاخ من قوميتهم ، فكان أن تجاوز الرجل الأمل فى هذين العاملين ، وانتهى فى اختيــار الأداة إلى العلماء العاملين ، وجعلهم مناط التكاليف للقيام بهــذه المهمة وطلب منهم أن يكون لهم اليد الطولى فى هذا العمل الشريف ، وقد وضع لهم فى ذلك برنامجاً منظماً محكماً إذ يقول : « ومن الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التى شرفوا بها على لسان الشارع ، أن ينهضوا إلى إحياء الرابطة الدينية ، ويتــداركوا الاختــلاف الذى وقع فى الملك بتمكين الاتفاق الذى يدعو إليه الدين ، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق فى مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرســة مهبطاً لروح حياة الوحدة ، ويصير كل واحد منها حلقة فى سلســلة واحدة ، إذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ، ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة والوعاظ فى جميع أنحاء الأرض بعضهم ببعض ، ويجعلون لهم مراكز فى أقطار مختلفة يرجعون إليها فى شؤون وحدتهم ، ويأخذون بأيدى العامة إلى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الأثر ، ويجمعون أطراف الوشائج إلى معقل واحــد يكون مركزه فى الأقطار المقدســة وأشرفها فى معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان ، والقيام بحاجات الأمة إذا عرض حادث الخلل ، وتطرق الأجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ، ويكون ذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الأفهام وصيانة الدين من البدع .. »

هذه هى الأداة التى وقع عليها اختيار الأفغانى ، وهــذا هو البرنامج الذى وضعه لدعاة الوحدة وألسنتها ، والظاهر أن الرجل فى هذا الاختيار وهذا الإيثار قد تمثل أمامه ما كان لهذه الأداة من القوة والسلطة فى الصدر الأول ، وما كان للعلماء والأئمة والوعاظ يومذاك من صــلة محكمة بشئون الدين والدنيا ، وأمور السياسة والملك ، وأحوال الناس والعباد ، ثم ما كان فى نفوسهم وفى قلوبهم من إباء فى الحق ، وغيرة على الصدق ، وعزة ترتفع بهم عن منازل الخضوع والخنوع ، ولكن أين هم أولئك العلماء وأين هم أولئك الوعاظ والخطباء والأئمة حتى يعلق بهم السيد الأفغانى كل الأمل فى رأب الصــدع ، وجمع الشمل ، وبناء المجد . لقد وقع الرجل بحسن ظنه بعيداً عن الحقيقة ، واهماً فى الأمل ، ولو أنه تكشف بواطن الأمور فى هــذه المسألة لتبين أنه اختار للأمر أداة بطل عملها ، وتفككت أوصالها ، وفقدت قوتها ، حتى أصبحت فى نفسها وفى وضعها جزءاً من العلة ، وأصــلا من أصول الداء ، وعجيب أن يكون هذا أمل الأفغانى فى العلماء والوعاظ والأئمة ، وهو الذى اصطلى نارهم ، وخرق بسيرهم ، وقضى حياته يشــكو الناهضة منهم ، والضايقة من جمودهم وجحودهم للدين والحق تملقاً لأهل السلطان والسياسة ، وهكذا عاش تلميذه الأستاذ الإمام من بعده . ولو أن العمر امتد بالأفغانى إلى تلك الأيام ، ورأى ما كان من تطور الحوادث والأحداث ، وعلم الزعماء والرجال الذين جاهدوا لمجد الشرق العربى ، ومدافعة الاستعمار الأجنبى ، وليس فيهم رأس من أولئك العلماء والأئمة والخطباء ، إذن لتنكر لرأيه ، ولبارك رجالا أساء الظن بهم ، فكان القادة منهم ، والطلائع من بين صفوفهم .

وأخيراً ينتهى الأفغانى فى الرأى إلى أن يكون لهذه الوحدة الدينية قبلة ، هى قبلة الدين ، ووجهة المسلمين فى مشارق الأرض

ومغاربها ، فاختار مكة المكرمة لأنها كما يقول : « مبعث الدين ، ومناط اليقين ، وفيها موسم الحجيج العام فى كل عام، يجتمع إليه الشرقى والغربى ، ويتآخى فى مواقفها الطاهرة الجليل والحقير ، والغنى والفقير ، فكانت أفضل مدينة تتوارد إليها الأقطار ، ثم تنبث إلى سائر الجهات ... وما هى إلا كلمة تقال بينهم من ذى مكانة فى نفوسهم حتى تهتز لها أرجاء الأرض ، وتضطرب لها سواكن القلوب[1].. » ، ومن ثم كان السيد الأفغانى يطمع فى أن يكون موسم الحج مؤتمراً عاماً يتلاقى فيه المسلمون بآمالهم ، ويتعهدون فيه شؤونهم ومصالحهم ، ويؤكدون به غاياتهم وروابطهم ، وإنها لفكرة قوية جليلة لو استطاع القائمون بأمر الإسلام والقوامون على المسلمين الانتفاع بها ، لكانت للأمم الإسلامية قوة روحية لا تنفد ، وعدة تعينهم على مواجهة الشدائد والصعاب ، وذخراً علا نفوسهم بالسمو والطموح إلى آفاق المجد والارتباط المتين لاستقبال الغد .

للكلام صلة — محمد فهمي عبد اللطيف

(١) نقلنا هذه الفقرات وما قبلها من مقالات العروة الوثقى التى كان الأفغانى صاحب الرأى فيها

فلاسفة المجتمع

الصراصـــير ...!

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

قال لى صاحبى ليعلم ما بى . . . مالك كأن أمراً ذا بال استقل بك عن دنيا الناس . قلت : صدقت فراستك ياصاحبى على ندرة ما تصدق ؛ فقد انفرجت الهوة بينى وبين دنيا الناس ، وأصبحت مشغولا بتوافه المخلوقات فى دنيا الصراصير ... وهذه الطائفة من هوام الأرض هيئة ضئيلة الخطر؛ لأنها تألف بأملاء طبعها عليها ، ودفع تكوينها لها ، « الجدار » المتداعى من « بيتك » الذى يريد أن ينقض وتريد أنت أن تقيمه ، فلا تريد له هذه الصراصير بقاء أو سلامة ، هى جادة فى عبثها وأنت جاد فى حذرك منها والهزيمة على البائس منكما . . .

ومن فلسفة الحياة أحيانا ، أن تقذف بالسوس فى لفائف العود الباكر فاما أن يتقصف أو يستطيل على الريح ! !

ومن فلسفتها كذلك أن تحترم عزمة الكاسر الضارى وتشد وثاقه وتطلق عليه « الفيران » تلتطم بجبهته وتتساقط حواليها ولن تظفر بعد ذلك منه بغير تثاؤب طويل .

أعود بك ياصاحبى لقصة الصراصير ... فهى فى فلسفتها ليست بأقل شأنا من فلسفة السوس مع العود الباكر ، أو جماعة الفيران مع الضارى الكاسر ، وما إخالك تستريح للاسترسال فى اكتناه أسرار هذا الفريق الآخر من فلاسفة المجتمع .

أعود فأقول لك : إنك إن يئست من اتقاء شر هذه الحشرات فأنت مقدم بذلك كافة جدران بيتك هدية لفتكها وعملها الخبيث .

هى مولعة أن تأكل اللبنات الطيبة ، فان لم تجد جدارا تقوى عليه ، انقلبت يعدو بعضها على بعض ، فتأكل وتفنى ، والموقف منها ذو حيلتين : إما أن تقيم معها على الضيم الرخيص وفى ذلك اعتراف بها ، وتقويم لوجودها . . . ثم فيه أخيرا تشجيع لها لتمضى على سنتها التى درجت عليها ، من الاختلاف إلى كل جدار ؛ تتكاثر فى قاعدته ، ثم تتسرب جماعاتها فى تجاليدها المظلمة ، تكد وتجهد ، حتى يتطامن الجدار ويصبح كله قاعدة . فاذا البيت لا يصلح إلا لهذه الصراصير ... وحيلتك الثانية معها أن تنزح وتتركها فى الزوايا المظلمة ؛ تعبث وتلهو ، وتجنب نفسك بذلك فضل احساسها بشعورك بها . . .

... فانتفض صاحبى قائلا : أو ترضى يا أخى أن تهزم وتنتصر الصراصير !

قلت : هى على كلتا الحالين منتصرة ، تعوز رب البيت وسائل التطهير .

ثم أنسيت أنت قول الرجل العربى « خير لنا أن تغلبنا قضاعة من أن نغلب قضاعة » . . . قال : وما قصة قضاعة هذه ؟ فقلت : هى قصة تلخص فلسفة مجتمع مضى كان صريحا واضحا . تربى فى كنف فلاسفة الرجال ولم يتلق تعاليمه ونظمه الاجتماعية من فلاسفة الصراصير ؛ تلك الطائفة الحائرة الحيرة . . . فاطمأن صاحبى فى جلسته ، وأخذ يفرك جبهته بأنامله قائلا : بدأت أفهم يا أخى فقلت : وأنا بدأت أفكر فى ادخارك لحديث آخر يكون كله مفهوماً ، أعرض لك فيه صورا ناصعة ، لطراز آخر من فلاسفة المجتمع الحديث .

أحمد عبد المجيد الغزالى



٤ – الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل
بقلم الدكتور محمد بهجت

التمثيــل(*)

كنت أتحادث مع رودان بمرسمه في أصيل يوم من الأيام ، وقد أخذ الظلام يرخي سدوله فسألني فجأة :

« هل سبق لك أن عاينت تمثالاً قديماً على ضوء مصباح ؟ »

فأجبته في شيء من التعجب : « كلا ، أبداً » .

« حسن ، سأدهشك . فلربما بدا لك أن معاينة التماثيل في غير ضوء النهار أمر غير مألوف . صحيح أنك تستطيع أن تستجليها على أكمل وجه في وضح النهار ولكن تمهل قليلاً فأطلعك على تجربة تخرج منها بفائدة محققة » .

وعند ذلك أشعل مصباحاً أخذه بيده ثم قادني إلى تمثال من رخام قائم على منصة في ركن من أركان المرسم . كان نسخة جميلة مصغرة من تمثال زهرة مديسي Venus di Medici وقد احتفظ به رودان هناك كيما تستعر به نار وحيه وإلهامه عند ما يعمل .

« اقترب مني » قال ذلك ثم رفع المصباح إلى جانب التمثال وقربه منه حتى كاد يلمسه ، وسلط الضوء كله على الجسم ، ثم سألني عما عساى أن ألاحظه . ولأول لمحة أخذت أخذاً عجيباً بما بدا لي فجأة إذ أظهر الضوء وهو من ذلك الوضع نتوءات وانخفاضات هينة عديدة منتشرة على سطح الرخام مما لم أكن أتوقع مشاهدته . وهـذا ما أجبت به رودان على سؤاله فصاح موافقاً : « حسناً ، انتبه جيداً » . وعند ذلك أدار المنصة التي يقوم عليها التمثال . وكنت لا أزال أبصر في جسم التمثال وهو يدور عدداً عديداً من تلك الفحصات التي تكاد تدق على الأعين . وبدا لي ما كان بسيطاً في أول الأمر غير بسيط ، وإذ ذاك رفع رودان رأسه وصاح مبتسماً : « أليس ذلك عجيباً ؟ اعترف بأنك ما كنت تتوقع اكتشاف الكثير من تلك التفاصيل . انظر إلى تلك التموجات العديدة على الجزء الذي يصل الفخذ ببقية الجسم . لاحظ كل انحناءات الورك الشيقة ، ثم هنا ، تلك الفحصات[1] المليحة الفاتنة التي على طول الأرداف » .

قال ذلك في صوت خفيض به حرارة التعبد ونبرات الخشوع وقد انحنى فوق التمثال كأنما شغف به حباً وقال : « حقاً إنه من لحم » . ثم لمعت عيناه وقال : « يخيل إليك أنه قد من العناق والقبل لا من الحجر الصلد » . وبعد أن وضع يده على الدمية قال فجأة : « عند ما تلمس هذا التمثال تحس كأن الحرارة تسري فيه » وبعد لحظات قليلة عاد فقال :

« حسن . وما قولك الآن في تلك الفكرة السائدة عن الفن الإغريقي ؟ يقولون ، وأخص بالذكر أصحاب المدرسة القديمة الذين نشروا هذه الفكرة ، إن القدماء في عبادتهم للمثل الأعلى احتقروا الجسد أيما احتقار وأرخصوا من شأنه وأبوا أن يظهروا في أعمالهم دقائق الحقائق المادية العديدة . يدعون أن القدماء أرادوا أن يجاريهم الطبيعة في خلق جمال متخيل مبسط يروق للذهن فقط ولا يستثير الحواس . ويضربون لذلك الأمثال التي يتوهمون أنهم وقعوا عليها في الفن القديم ، ويتخذون من ذلك حجة على تهذيب الطبيعة وتحنيها وقصرها على حدود ضيقة جافة فاترة عقيمة لا تمت إلى الحقيقة بصلة .

ومما لا مشاحة فيه أن الإغريق بالغوا في إظهار ما يجب إظهاره بما أوتوا من عقول منطقية جبارة . لقد أفصحوا عن أهم المميزات البارزة في النوع الإنساني ، ومع ذلك فإنهم لم يطمسوا شيئاً من التفاصيل الدقيقة الحية . إنهم كانوا يقنعون بمزجها وإدماجها في المجموع . وبينما تراهم مولعين بالحركات المنسجمة المتزنة الهادئة تراهم يخضعون أو يضعفون في غير ما تعمد كل ما شأنه أن يؤثر في جمال أو رواء حركة من الحركات ، ولكنهم تحاشوا أن يمحوها كل المحو .

إنهم لم يبتدعوا قط طريقة أو أسلوباً من المهايات والأضاليل ، كان ديدنهم أن يظهروا الطبيعة كما يرونها ، يحدوهم في ذلك حبهم

(*) رأيت أن أضع هذه اللفظة لكلمة الانجليزية Modelling مشتقاً إياها من كلمة مثال Model

(١) جمع فحصة وهي من فحصة الصبي : نقرة ذقنه ، استعملت هذه اللفظة للدلالة على النقر التي في الجسم .

واحترامهم لها . ولقد أثبتوا إثباتاً قاطعاً فى كل المناسبات شغفهم الشديد بالجسد. وإنه لمن البله أو الخبل أن نعتقد أنهم كانوا يحتقرونه ، إذ لم يثر جمال الجسم الإنسانى شعوراً أرق وأعمق مما أثاره فى نفوس الأغريق ، حتى لتبدو تماثيلهم التى نحتوها كأنما يطيف بها طائف من النشوة والوله . وعلى هذا الأساس يُفسر الفارق العظيم الذى لا يتصور بين المثل الأعلى الزائف عند المدرسة القديمة وبين الفن الأغريقى . فبينما نرى فى أعمال القدماء أن تعميم الخطوط ما هو إلا مجموع أو « كل » يتكون من التفاصيل والدقائق ، نرى التبسيط المدرسى خوراً وضعفاً ، نراه خاوياً كالطبل الأجوف . وبينما نرى الحياة تهيمن على عضلات التماثيل الأغريقية النابضة وتبعث فيها الحرارة والدفء نرى دُمى الفن المدرسى كأنما أثلجها الموت » .

وهنا صمت رودان هنيهة عاود بعدها حديثه قائلا :

سأطلعك على سر عظيم . أتدرى كيف أمكن أن نحس دبيب الحياة فى تمثال ڤينوس الذى نحن بصدده ؟ بواسطة علم التمثيل . ولربما بدت لك هذه الكلمات تافهة عادية ولكن صبراً فستسبر غور أهميتها بعد حين .

أخذت علم التمثيل عن معلم يسمى كنستانت كان يعمل فى المرسم الذى ظهرت فيه أول مرة كتال محترف . فبينما كان يراقبنى يوما وأنا أعمل فى رأس يكلله أكليل من الغار إذ صاح بى قائلا : يا رودان ! إنك لا تسير بهذا فى الطريق السوى . فكل أوراقك منسطحة ولهذا فهى لاتبدو طبيعية . اجعل أطارف بعضها متجهة نحوك حتى يشعر من يراها أن لها أبعادا وأغوارا. عملت بمشورته ؛ ولشد ما دهشت من النتيجة التى حصلت عليها .

ثم عاود كنستانت نصيحته قائلا : فلتذكر دائما ما سأقوله لك الآن . عند ما تطبع فى الطين أو تحفر لا تنظر إلى الجسم فى طوله ولكن فى ثخانته ، ولا تعتبر سطحاً من السطوح إلا كحد أو نهاية لحجم ما ، أو كالطرف الذى يوجهه إليك ذلك السطح . إنك ان تمارس ذلك تحصل على علم التمثيل ؟ ولقد وجدت هذه القاعدة مفيدة أيما فائدة . ومن ثم طبقتها على صنع التماثيل . فبدلا من أن أتصور أجزاء الجسم مسطحات كثيرة الانبساط أو قليلة أبرزتها كنتوءات ذات أحجام داخلية . وقد حاولت جهدى أن يدل كل نتوء فى الصدر أو الأعضاء على عضلة أو عظمة تحت الجلد ، وهكذا يبدو صدق تماثيلى منبعثاً من الداخل كالحياة نفسها لا سطحياً تافها .

ولقد تبين لى الآن أن الأقدمين مارسوا هذا الضرب من التمثيل بحذافيره . ومما لا ريب فيه أن ما نراه من نضارة وطراوة أعمالهم التى تنبض بالحياة انما يرجع إلى اتباعهم هذه الطريقة فى أشغالهم .

وهنا تأمل رودان تمثال الزهرة من جديد ثم سألنى فجأة :

« ما رأيك يا جيزيل ؟ هل اللون صفة من صفات التصوير أو النحت ؟ »

فأجبته : « من صفات التصوير طبعا » .

فقال : « حسن . انظر إلى هذا التمثال » . قال ذلك ثم رفع يده بالمصباح إلى أعلى ما يستطيع لكى يلقى بكل الضوء على صدر الدمية ثم قال :

« انظر إلى الأضواء القوية التى على الثديين ، وإلى الظلال الثقيلة التى فى ثنايا اللحم ، ثم إلى هذه الصفرة الباهتة ، ثم إلى تلك الألوان الأثيرية التى تخفق على أدق أجزاء هذا الجسم المقدس ، ثم إلى تلك الأجزاء المظللة بظلال خفيفة حتى لتبدو كأنها تذوب فى الهواء وتندمج فيه . ماذا تقول فى كل ذلك ؟ ألا يخيل إليك أنها قطعة موسيقية مؤلفة من الأبيض والأسود أو من الأضواء والظلال؟»

« وربمــا بدا لك فى قولى بعض التناقض الظاهرى إذا ما قررت بأن المثال العظيم لا يقل مهارة فى فن الألوان عن أكبر المصورين ، بل عن أكبر الحفارين engravers ، وذلك لأنه يتفنن بكل حذق فى كل ضروب التمثيل البارز وصنوفه ويمزج حدة الضوء بهدوء الظل فتجىء قطعه سارة ممتعة كأجل الرسوم المنقولة عن ألواح النحاس (etchiny) .

والآن — وقد أزدت أن أصل بحوارى إلى هذه النتيجة — أقول إن اللون هو زهرة التمثيل الجيل ، وإن اللون والتمثيل صنوان لا يفترقان ، وهما اللذان يسبغان على كل قطعة خالدة من أعمال النحت ذلك المظهر الوضىء للجسم الحى » .

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين



بين الأرقام والأحلام

كنت أذهب مساء كل يوم إلى حديقة نادى الموظفين فى عاصمة من عواصم مصر العليا فأجلس فى ركن هادىء من أركان تلك الحديقة الفسيحة ساعة أشاهد قرص الشمس وهو يغيب خلف التل فى إحدى عدوتى الوادى .

وكان لا يدنو منى هناك إلا رجل إنجليزى حاسر الرأس سريع الخطى أراه كل يوم وفى إحدى يديه ساجور كلبه وفى الأخرى عصا غليظة يدخل من باب النادى فى ساعة معينة لا يتقدم عنها ولا يتأخر ، حتى لقد كنت أضبط ساعتى على مرآه كما أضبطها إذا انتبهت إلى صوت المدفع . وكان الرجل متى بلغ النادى يجرى فى حديقته ساعة يلاعب كلبه كما يفعل صبى فى العاشرة ، ثم يدع الكلب ويجلس غير بعيد منى على كرسى ، ويمد رجليه على آخر ، ويفتح كتاباً يخرجه من جيبه فيقرأ بعض الوقت ثم يبرح وكلبه النادى عند ساعة لا يتقدم عنها كذلك ولا يتأخر .

وتعارفنا أنا ومستر « للى » وهذا اسمه إلىّ وأنس « جوى » وهذا اسم كلبه . وأحسست من الرجل ما يشبه طبيعة المصرى فى سرعة الألفة ، وذكرت له ذلك فضحك وامتدح فى كياسة هذه الطبيعة المصرية قائلا وقد لمح على محياى ما داخلنى من سرور : « هذا بعض ما أحببت من شمائل شعبكم الطيب ؛ وقد عرفت الكثير منها من مخالطتى عملائى هنا فى بنك بركليز » .

— « هالو ! مستر خفيف ! سعيدة » .... التفت ذات مساء على تحية مستر للى هذه يلقيها إلىّ بالعربية ضاحكا ، ثم تقدم إلىّ وصافحنى كما نفعل نحن المصريين كلما التقينا ، ولو وقع ذلك فى اليوم مائة مرة .

— « جوى ! جوى ! إلعب وحدك اليوم فلن أشاركك مرحك .... إن فى توثبك دعوة إلى ولكنى لن ألبيها ؛ إنى متعب من زحمة الأرقام فى رأسى طول اليوم » .

وكان الرجل يخاطب كلبه بلغته الإنجليزية كما لو كان يخاطب ابنا له . ثم التفت إلىّ قائلا : « لينصرف كل منا إلى كتابه فبنفسى ميل إلى القراءة » وبعد مدة ألقى كل منا كتابه ودنا منى ذلك الإنجليزى باسما وهو يقول : « والآن فلنتحدث » .

وتبادلنا الحديث وانتقلنا من موضوع إلى موضوع حسبما اتفق ؛ وكثيراً ما عدنا إلى الحرب ومآسيها وأنبائها . ثم تحدث مستر للى عن وحدته وكيف يعيش هو وكلبه . ثم استدرك قائلا: « هذا إذا لم نعتبر الكتب وما فى بطونها من ناس ، فهؤلاء تغص بهم الكتب أو يزدحم بهم البيت ! » .

وسألته عن كتابه الذى ألقاه الساعة من يده ، فأجاب متهللا: « هذا مختارات من شعر تنيسون ... لشد ما تعجبنى موسيقاه ومعانيه! أجل لشد ما يبهج نفسى ويؤنس وحدتى تنيسون العظيم ! ... إنى لأقدمه على الشعراء ما عدا شكسبير وملتن ... آه لهذا الساحر ! » .

وكان الرجل فى كلامه عن الشعر والشعراء فياض المعانى بادى التحمس . وقد بدا وجهه الوسيم المتورد كوجه غلام فى أول الشباب ، وظللت أنصت إليه متعجباً من هذا الذى يقضى نهاره بين الأرقام فى المصرف ثم يختتمه باللعب وقراءة الشعر . وزادنى إعجابا به أنه يقضى وقتاً طويلا من ليله يقرأ ويستمع للموسيقى إلى جانب المذياع .

ولشد ما أبهج الرجل أن رآنى أحب ذلك الشاعر كما يحب ؛ وأنصت إلى فرحا وأنا أطرى بعض قصائده ثم قال : « لا بد من الشعر فى هذه الدنيا . لا شىء يسمو بالنفس الأنسانية كما يسمو بها الشعر . لا تصاحب من لا تجد فى نفسه شعراً ... إنى طول نهارى بين الأرقام فما كان أشقانى لولا الشعر والموسيقى . ثم هذه الحرب ما كان أتعسنى بويلاتها لولا هذا الروح العلوى ... حقا إن القراءة أعظم متعة »

وكانت الشمس قد مالت لتغيب خلف التل فى العدوة القريبة ، وانعكست خطوط من التل على قبة السماء ، وطرزت حواشى الأفق حمرة الشفق ، ثم زحفت ظلال الطفل لتشرب هذه الحمرة ، وتراءت القلاع البيض على صفحة النهر الأزلى يزيد بياضها خضرة الزرع على جانبيه ! والتفت صديقى الإنجليزى قائلا: « مد عينيك ! هذه قصيدة رائعة ، فلنصل لحظة » .

وصلينا خاشعين لحظة طويلة ، ونهض صاحبى وهو يقول : « إن هذا التل وهذا النهر ليملآن نفسى بخيال الماضى ، فضلا عما يريانى من صور الجمال » ونادى الرجل كلبه ثم قال وهو يشير إليه « إنى أحب هذا الكلب لأنه شديد الإحساس بالحياة ، ولذلك سميته جوى ... آه كم أحب أن ألعب مثله فأشعر أنى صبى وأنسى أنى فى الرابعة والخمسين ! »

ووضع الرجل عصاه على ذراعه والساجور فى عنق جوى وانصرف قائلا : « هذا برنامج كل يوم ؛ ألست تحب ذلك ؟

ولكم أحببت ذلك وأحببت هذا الشاعر وأغرمت بخياله الذى حبب إليه الحياة أو هونها على نفسه .

الخفيف

رضـــــا الفاروق

[إلى صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا]

للأســـتاذ محمد الأسمر

[الأبيات الآتية نظمها الشاعر الكبير الأستاذ محمد الأسمر بمناسبة إبلال صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي من مرضه الذي فاجأه وهو يشيع جنازة اللورد موين ، منتدباً من لدن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، وقد كتبها لرفعته الخطاط المبدع الشيخ محمد عبد الرحمن ، وأحاطها بزخرف من فنه الجميل ، فجاءت إحدى طرائف القلم ، ونحن ننشرها بمناسبة إبلال رفعته من مرضه الأخير] .

تماثلَ للشفاء عظيمُ قــومٍ إذا مصرُ اشتكت كان الدواء
عرفناهُ الشجاعَ ، فكم دعته شجاعتُه ، وكم لبَّى الدعاء
سلوا عنهُ الأمورَ إذا ادلهمَّتْ سلوا عنه (الرمال) أو (الهواء)
كفاهُ أنه — تفديه نفسى — يُقدمُ نفسهُ أبداً فــداء
مشى بالأمس ليس يكاد يمشى يغالبُ عزمُه الداء العياء
يتابعُ خطوَهُ ، والموتُ فيهِ ، كذا شاءت رجولتهُ وشاء
أرونى غيرهُ لمح المنــــايا تخف لهُ فما رجع الوراء
مضى قُدُماً يؤدى ما عليهِ لواجبهِ ؛ فما أسمى الأداء
يُجشِّم نفسه أشياء يبنى لديها الصارمُ الماضى انثناء
نجا من فتك (غادرةٍ) تمشَّتْ لصدرٍ ما حوى إلا الوفاء
ولو عرفتهُ ما عرفتهُ يوماً وصدَّتْ عن جوانحه حياء
فلولا الله لاقت مصر منها ولاقى كلُّ مصريٍ عناء

* * *

تساءل معشرٌ عما شفاهُ ؟ ! رضا (الفاروق) كان له الشفاء
رعاه الله من ملكٍ كريمٍ يرفُّ على رعيتــــهِ لواء

٢٦ ـ ٢٤ **محمد الأسمر**

خواطر فى الظلام !

[من ديوان « فوق الحياة » الذى يصدر قريباً]

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

— ١ —

أيُّهذا الغريقُ فى الهمِّ يا قلـــبى سُدًى ترتجى نسيمَ الهناء
ليسَ للحزنِ يا فؤادى قرارٌ أنتَ فيه تغوص دون انتهاء
مزَّقَ الصخرُ فى الشواطئ جنبيـ
ـكَ ، إذا أنتَ رُمْتَ بعضَ النجاء
اجتنبْ هذه الصخورَ حراباً لك مسنونة ذوات مَضاء !!
فعسيرٌ أراكَ تَدمَى مَزيقاً إنما فيكَ يا ثمينُ ... بقائى
وعسيرٌ أراكَ تَنْشَقُّ يا قلـــبى أمامى فَتَستَفيض دمائى !
فَدَعِ الصخرَ والشواطئ ، واهبطْ
ـ ما يشاء القدورُ فى البرحاء
إنَّ تلك المهاوىَ السودَ حتمٌ أن تعانى بها صنوفَ البلاء
ولئن كنتَ يا فؤادىَ تشتا قُ إلى العيشِ فوقَ سطحِ الماء
فارتقبْ موجةً من القاعِ تسمو بكَ نحو السنى ونحو الهواء
إنما البحرُ قُلَّبٌ يا فؤادى شأنَ هذى الحياةِ والأحياء
بينما قاعه على السطحِ أموا جٌ عوالٍ تنالُ ثوبَ السماء
فإذا الموجُ بعد حينٍ قرارٌ وإذا القاعُ المُقرَّب ... ناء

— ٢ —

يدُ مَنْ هذه التى دَفَعَتْ بى وبقلبى إلى خضمِّ الشقاء ؟
يَدُها ؟ بينما أكِبُّ عليها طابعاً قبلةً تبثُّ وفائى !
يَدُها أم يَدُ الزمانِ ... أبادتْ نشواتٍ لبُعدها وهنائى
يَدُها أم يدُ الزمانِ ؟! أطاحتْ بقلاعى التى بنيتُ ورائى
كنتُ شيَّدتُ من ظنونى قصوراً
حـــرَماً للحبيبةِ السمراء
شاهقاتٍ يصفقُ الحبُّ فيها بجناحين من مُنًى وصفاء
كنتُ أعليتُ من أمانىَّ حتى
شـــارفتْ بى مسابحَ الجوزاء

كنتُ ... أوَّاهُ ما الذى هدم السا
موَ فاندكَّ فى التراب رجائى ؟!
ذلك المعْوَلُ الرهيبُ . . . أراهُ
وهو يَهْوِى على رفيعِ بنائى
هو فى قبضةِ القادرِ سيَّا نِ لديه تَبَسُّمى وبكائى
والليالى وراءه زاحفاتٌ ساخراتٌ تضج فى استهزاء

— ٣ —

ذلك الليلُ ... وهو عندى مكانٌ
ألتقى فيه بالطيوفِ الوِضاء
كنتُ أحيا به ، كأنىَ منه قطعةٌ فى رحابه السوداء
وأبثُّ الرياحَ أوهامَ نفسى فَتُغَنِّى بها على الظلماء !!
وأُناجى الأشباحَ والفكرَ والأحلامَ حتى تطلَّ عينُ الضياء
ذلك الليلُ .. كم تَنَقَّلْتُ فيه يَقِظاً فرطَ نشوةٍ برجائى
كنتُ أودعته مطامعَ روحى وهو يُصْغِى ويستجيشُ غِنائى
والنجومُ التى تَلأْلأُ يا ليلُ شهودٌ أمامَ حكمِ القضاء
أين واريتَ ما سمعتَ من الآ مالِ يا هاتكاً عهودَ الإخاء
كيف راحتْ مطامعى وهى فى قلبكَ سرٌّ تلفُّه بالخفاء ؟!
هى زادى على الحياةِ ومائى كيف تأبَى علىَّ زادى ومائى ؟!
أعِدِ الآنَ للشقىِّ أمانيه وإن كُنَّ كالسرابِ النائى
أيها الكاهنُ الجليلُ الذى اهتزَّ (م)
لشدوى وحارَ فى أهوائى
أنت يا مَنْ نسجتُ خالدَ قصيدى
بين أحضانِه وصغتُ غنائى
أيها الشيخُ ... يا ظلامُ ... أعِدْ لى
أمَلى فى شقيقتى الحسناء
أوْحَدَتْنى على دياجيكَ نفسٌ لم تفارقْ تَرَفُّعى وإبائى ...
رضيتْ قسمةً لها بانفرادى دونَ عيشى كسائرِ الدهماء
حقرتْ ذلك القطيعَ من النا سِ ولاذتْ بوحشةٍ خرساء
لم تعانقْ سوى العواطفِ والفكرِ ولم تَنْتَشِحْ بغير النقاء
غربتى ... غربةُ المحبةِ عن قو مٍ أضاعوا الحياةَ فى البغضاء
والذى يعتلى الصعابَ فى الدنيا حرامٌ عليه طعمُ الهناء
كلما طهَّرَ الصباحُ جبينى بسناه ، علوتُ فى استحياء
أبتغى النورَ فى الذُّرى ، وأمَنِّى بِاكتناهِ المُحَجَّبات علائى
وتُصَلِّى خواطرى وهى تسمو بى إلى عالمِ المعانى الوِضاء
بى طموحٌ من الحنينِ لمجهو لٍ بعيدٍ ... مُلَفَّعٍ بالخفاء
واشتياقٌ إلى عوالمَ خلفَ الْـ
ـغيبِ ، قامتْ هناكَ ... بعد السماء !!
ومَطَارِى من الحقائقِ يمتدُّ (م) رفيعاً ، ويستجيبُ ارتقائى

— ٤ —

قد بلوتُ الأنامَ فانكشفَ الستـ
ـرُ وساء الكمينُ تحتَ الطلاء
لى نفاذٌ يكادُ يخترقُ الأنـ فسَ حتى زهدتُ فى الأحياء
أنا يا ليلُ قمة ... ومحالٌ أن تطولَ الربى إلى عليائى
كم تَطَلَّعْتُ .. لم أفُزْ بضريبٍ
يتسامى على حياةِ الرياء
كم تَطَلَّعْتُ ... ثمَّ آبتْ عيونى
بدموعٍ سخينةٍ بُكاء ...
كم تَطَلَّعْتُ ... فاخترقتُ فضاء
شارداً ، يرتمى وراء فضاء ...
غَمَرَتْ هذه الثلوجُ ، ثلوجُ الْـ
ـيأسِ قلبى فجَمَّدَتْ أحنائى
لم يكن لى سوى شقيقة روحى مُنْيَةٌ بين عزلتى وخلائى
أيهذا الظلامُ أرْجِعْ لنفسى أمَلى فى حبيبتى السمراء
إننى قِمَّةٌ تَعالَى بها الحقُّ (م) غريباً عن سائرِ الأهواء
وحرامٌ يُباعِدُ الغيمُ فى الأفـ
ـقِ ارتفاعى ولا يزينُ علائى
وحرامٌ أُطِلُّ حولى فلا ألـ قى سوى اليأسِ مُنْذِراً بفنائى
إنما تسأمُ الحياة .. إذا لم تَشْدُ من حولها طيور الرجاء

(القاهرة) عبد الرحمن الخميسى



وصية الرصافي قبيل وفاته

إلى أصدقائي الأحرار الكرام :

أراهم يهيجون على الدوام باسم الدين ، وما أظنهم يتركونني حتى بعد موتي . وليس لي من ألتجيء إليه سوى الله ، وكفى بالله حافظاً وحسيباً . ليس لي من الأقارب من أعهد إليهم بوصيتي سوى معارفي من الأصدقاء الأحرار من أهل البلاد ، فلذا أكتب إليهم عسى أن يقوموا بتنفيذها ولهم من الله الأجر

كل ما كتبته من نظم ونثر لم أجعل هدفي منه منفعتي الشخصية ، وإنما قصدت به منفعة المجتمع الذي عشت فيه ، والقوم الذين أنا منهم ونشأت بينهم ، لذلك لم أوفق إلى شيء في حياتي يسمى بالرفاهية والسعادة في الحياة . لا أملك شيئاً سوى فراشي الذي أنام فيه ، وثيابي التي ألبسها ، وكل ما عدا ذلك من الأثاث الحقير الذي في مسكني ليس لي ، بل هو مال أهله الذين يساكنونني .

كل من اعتدى عليّ في حياتي فهو في حل مني . وإن كان هناك من اعتديت أنا عليه ، فهو بالخيار ، إن شاء عفا عني وإلا قضى بيني وبينه الله الذي هو أحكم الحاكمين .

أنا ولله الحمد مسلم مؤمن بالله وبرسوله محمد بن عبد الله إيماناً صادقاً لا أرائي فيه ولا أداجي ، إلا أنني أخالف المسلمين فيما أراهم عليه من أمور يرونها من الدين ، وليست هي منه إلا بمنزلة القشور من اللباب . ولا يهمني من الدين إلا جوهره الخالص وغايته المطلوبة التي هي الوصول إلى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الاجتماعية والحياة الأخروية ، ما أمكن الوصول إليه من ذلك بترك الشرور وبعمل الصالحات ، وكل ما عدا ذلك من أمور الدين فهو وسيلة إليه وواسطة له ليس إلا .

بما أن عبد بن صالح الذي هو معاوني على العيش في مسكني كنت أنا السبب في زواجه ، وقد ولد له بنات صغار ، وليس له من أسباب المعيشة والكسب ما يجعله قادراً على إعاشتهن ، أرجو من أهل الخير في الدنيا ومن أصدقائي الكرام الأحرار أن يسعوا في إيجاد شغل له يكسب به مايقوم بأعاشتهن ، وإن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين .

كل ما عندي من الكتب المخطوطة التي كتبتها أنا ، تباع لمن يرغب في شرائها على أن يكون له حق الطبع والنشر ولا يكون لي فيها سوى الاسم ، ويدفع المال الحاصل من بيعها إلى بنات عبد .

أريد أن أدفن في أي مقبرة كانت على أن يكون قبري في طرف منها وأن يكون في أرض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلا ...

إن كانت الحياة نعمة سابغة من الله على عباده فإن الموت رحمة واسعة منه عليهم . فالموت هو رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء . كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام .

المؤمن بالله وحده لا شريك له

معروف الرصافي

جمعية مصرية لتعريب الموسيقى العالمية

لا يزال هواة الموسيقى العالمية يذكرون تلك الحفلة التي أقيمت بكلية العلوم في اليوم التاسع عشر من شهر مارس سنة ١٩٤٣ ، ويعتبرونها فاتحة عهد جديد في تاريخ هذا الفن



السادة الذين أقاموا الحفلة ، ومن بينهم الدكتور علي مصطفى مشرفه بك والأستاذ كامل كيلاني ناظم الأغاني ، وحسن بك رشيد ، فالأستاذ أبو بكر خيرت

الرقيع . ذلك أن برنامجها اشتمل يومئذ على عشر أغان اختيرت لعباقرة الموسيقى ، ونقلها نظماً إلى اللغة العربية الأستاذ كامل كيلاني فسجل بذلك فوزاً مبيناً للعربية في ميدان هذا الفن ، وأثبت بالفعل للذين يتهجمون عليها بالقول أنها تستطيع بشعرها العالي

وعروضها الدقيق أن تترجم أغانى شوبرت وموتسارت ومندلسون وأضرابهم بمعانيها وأوزانها وألحانها دون أن يفقد شىء من جمال المعنى ولا من سلامة الإيقاع . وقد لقيت هذه الحفلة يومئذ من النجاح العظيم والتقدير الحسن ما حفز القائمين بها إلى مواصلة الجهد فى هذا السبيل ، فألفوا (الجمعية المصرية لهواة الموسيقى) رئيسها الدكتور على مصطفى مشرفة عميد كلية العلوم ، وأبرز أعضائها الأساتذة محمد زكى على وإسماعيل راتب وكامل كيلانى وعلى بدوى . وكان أول ماعنيت به أن طبعت هذه الأغانى العشر وقدمتها إلى الجمهور بكلمة طيفة جاء فيها : « ... فنحن نسمع إلى الاغنية أو الأبرا فى كل بلد بلغة أهله . نستمع إليها فى روما بالإيطالية ، وفى برلين بالألمانية ، وفى لندن بالانجليزية؛ فإذا استمعنا إليها فى القاهرة سمعناها بكل لغة من لغات العالم المتحضر ما عدا اللغة العربية ! فكيف نقبل هذه المعرة القومية ، ونرضى بهذا الهوان الفكري ؟ »

ثم قالت فى موضع آخر : « وقد كان علينا أن نحل مشكلة رئيسة فى التدوين الموسيقى كادت تستعصى على الحل ، فإن الموسيقى تكتب من اليسار إلى اليمين، على العكس من الألفاظ التى تكتب من اليسار . وقد وقفنا طويلا أمام هذه المشكلة ثم انتهينا إلى حل يجمع بين الحرص على أصول الفن الموسيقى ، والوفاء للغة العربية والمحافظة على تقاليدها ، فجعلنا الكلمة وحدة ظاهرة ، ولم نكتف بذلك فعمدنا إلى كتابة مقاطع كل كلمة سالكين فى إثباتها الطريقة العروضية ، فزال بذلك كل إبهام فى المقابلة بين المقاطع اللفظية والمقاطع الموسيقية وبقيت الألفاظ سهلة القراءة بادية للعيان » .

وعما قريب تصدر هذه الأغانى المختارة فتسدى إلى اللغة العربية والموسيقى المصرية معروفا يخلد الشكر عليه بخلوده .

بين شاعرين

سيدى الأستاذ الكبير عزيز بك أباظه .

لا أكتب إليك للشكر على التعزية أو على التقدير . فاننا نحيا — إن سميت هذه حياة — فى حزن واحد ، وننطوى على لجيعة واحدة . وهذه المشاركة تغنى بيننا عن كل عبارة .

وما زال لدىّ الكثير من الأشعار . ولعل صفحات الرسالة والثقافة تتسع لنشرها . وهذه القصائد مانشر منها وما لم ينشر نظمت جميعها تقريباً فى شهر فبراير على أثر الوفاة . فهى الحصاد المشئوم لشهر وبعض شهر . وإنى لا أدرى كيف نظمت ، وكيف كان النظم على هذه السرعة وأنا لست من أهلها . ولكن الذى أدريه أننى ليس لى فيها شىء ، وأنها « هى » صاحبتها . « فهى » التى حفزتنى منذ حين إلى التوفر على إخراج ماأخرجت من كتب ؛ و « هى » الآن التى تملى علىّ ما أنظم من قصيد بعد أن انقطعت عن قوله سنوات وسنوات . ولقد كنت ماضيا على هذا الانقطاع على الرغم من حث كرام الأصدقاء والزملاء لى على مراجعته . وأخيراً ... أخيراً يكتب لى أن أعود إليه ، وأن يكون العود غير أحمد .

أيا مُذْكرى يوماً بأنى شاعرُ ... إليك التى فاضت بهنّ المشاعرُ
مَراثٍ . ومَن أرثى ؟ شريكة عيشتى ... ودُرّتى ، طوتها فى التراب المقابر
ولو كنتَ تدرى ما ازدهيتَ قريحتى ... فلا الشعرُ مذكورٌ ولا أنت ذاكر
ويارب ، لا كانت إلى الشعر رجعة ... فأنى — ولو كان الخلودَ — لخاسر

كان الله فى عونك وعونى .

عبد الرحمن صدقى

الأطياف الأربعة

[أصدرت «لجنة النشر للجامعيين» هذا الكتاب الذى اشتركت فيه أقلام «الاخوة الأربعة» . وقد كتب أحدهم : الأستاذ سيد قطب . هذا « التعريف » للمؤلفين والكتاب وهو يعطى لمحة عن شخصياتهم ، وعن طريقتهم كذلك] .

صبية وفتاة ، وفتى وشاب ... أولئك هم الأطياف الأربعة ! إخوة فى الدم ، إخوة فى الشعور . كلهم أصدقاء ، وذلك هو الرباط الأقوى . إنهم يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف . هم أنفسهم كل ما يملكون فى الكون المريض ! كل ما يربطهم بالكون أن يتطلعوا إليه هنيهة ، ليردوه صورا فى عالمهم المسحور . إنهم أبدا يحلمون . وقد يتفزعون فى الحلم ، ولكنهم إليه يعودون !

* * *

أحد هذه الأطياف تلك الصبية الناشئة . إنها موفوزة الحس أبداً ، متفزعة من شبح مجهول . إنها تعبد الحياة وتخشاها . إنها تتلفت فى ذعر كلما تفرست فى المجهول

* * *

وأحد هذه الأطياف تلك الفتاة الهادئة . إنها سارية فى الماضى لا تكاد منه تعود ! إنها شاعرة ، ثروتها من التصورات أجزل من ثروتها فى التعبير . إنها مستغرقة فى حلم : بالمستقبل الذى لا تملك ، وبالماضى الذى لن يعود .

* * *

وأحد هذه الأطياف ذلك الفتى الحائر . إنه دائم التجوال فى دروب نفسه ومنحنياتها يفتش فيها ويتأملها ، ولا يسأم التأمل والتفتيش . إنه يحلم فى اليقظة ، ويستيقظ فى الأحلام !

* * *

وأحد هذه الأطياف ذلك الشاب الشارد . إنه عاشق المحال ، إنه يطلب ما لا يجد ، ويسأم كل ما ينال . وإنه — بعد ذلك كله — للوالد والأخ والصديق لأولئك الأطياف .

* * *

أولئك هم الأطياف الأربعة . وهذه خطراتهم فى كتاب . إنها عصارة من نفوسهم وظلال من حياتهم . إنها أطياف الأطياف!

سيد قطب

الإصلاح الديني ومذهب ابن حنبل

كان مساء يوم الثلاثاء الماضى موعد المحاضرة التى ألقاها فى مسرح الأزبكية العالم الكبير الأستاذ شاكر الحنبلى بك وزير العدل السابق فى الحكومة السورية فأقبل على شهودها جمهرة كبيرة مختارة من رجال العلم والأدب والسياسة ولبثوا ساعة يستمعون إلى المحاضر العظيم وهو يتدفق بالبيان الرائع فى صوت متزن ولهجة فصيحة فأبان عن شخصية الإمام — أحمد بن حنبل — وجلاها مبرأة مما رميت به من الضيق ، ثم أفاض فى الكلام عن — ابن تيمية — ونفاذ عبقريته ؛ وما رمى به من مروق وزندقة ؛ وما أصابه فى سبيل دعوته من سجن ومطاردة ؛ وتناول الإمام ابن القيم — تلميذ ابن تيمية . وعمق تفكيره ، ومرونة ذهنه ، وحسن فهمه لروح الدين وما تكبده كذلك فى سبيل آرائه. ثم ختم المحاضر الفاضل محاضرته ببيان أن روح الإسلام لا تقف ما يحفز المدنية إلى التقدم ، ولا تقعد مايسمو بالانسانية إلى الكمال .

م . ع . ا

الفلسفة والدين ، في جامعة الإسكندرية

لم تنس جامعة فاروق الأول أنها وريثة جامعة الاسكندرية القديمة ، فقد حاضرنا مساء الأربعاء ٢٨ مارس سنة ١٩٤٥ بقاعة المحاضرات الجامعية أستاذ أعتقد أن الكثيرين من رواد الفلسفة الحديثة يعرفونه ، كما أعتقد أن هؤلاء الكثيرين من الرواد يتطلبون منه الكثير من محاضراته ودراساته .

حاضرنا الأستاذ توفيق الطويل المدرس بكلية الآداب عن النزاع بين الفلسفة والدين فى القرن السابع عشر .

وقد أمضينا ساعة ونصف ساعة مع الأستاذ توفيق الطويل ، فى رحلة فكرية شائقة ، حاول خلالها أن يبرهن على أن لا تنافر بين الفلسفة والدين حتى فى عصر محاكم التفتيش ، وابتدأ بأن فرّق بين الدين فى ذاته ، وبين رجال الكنيسة الذين جعلوا من أنفسهم حرّاساً على نصوص هـذا الدين ، حرّاساً جامدين على ظواهر هذه النصوص .

واختار الأستاذ الطويل للتدليل على وجهة نظره ثلاث دول ، كانت حركة النضال فيها بين الفكر الحرّ وبين اللاهوتيين الجامدين على أشدّ ماتكون عنفاً وحدّة ، وهى فرنسا ، وهولنده ، وإيطاليا .

واختار من كل بلد من البلدان الثلاثة فيلسوفاً واحداً ، لضيق الوقت ، فمن فرنسا تخيّر — ديكارت — وعرض موجزاً من فلسفته التى بدأت بالشكّ ، وانتقلت إلى إثبات الذات التى تشكّ ! والتى ابتدأت بأن أخضعت حقائق الوجود إلى العقل ، ثم استثنى الحقائق التى وصلتنا عن طريق الوحى ، واعتبرها غير خاضعة للاختبارات العقلية ، فكان ديكارت — وإن لم يوضح لنا الأستاذ المحاضر — متأرجحاً بين الفلسفة والدين ، بين عقله وقلبه ، ولعلّ فى خوفه من سلطة الكنيسة ، أو رجال الكنيسة عمني

أدقّ ، تعليلا لذلك التأرجح الذى تعرّض له الأستاذ المحاضر فى سرعة وخفّة نلتمس له فيهما عذراً لضيق الوقت ، وانفساح مجال الموضوع الذى اختاره لمحاضرته القيمة .

ومن هولاندا ، تحدث الأستاذ الفاضل ، عن — سبينوزا — ذلك الفيلسوف الذى نادى بمذهبه فى وحدة الوجود . فأثار على نفسه ثائرة رجال الأكليروس ، وأقام قيامة أولئك الذين فى يدهم مقاليد الأمور فأجمعوا على تكفيره ، وحرمانه . واضطروه أن يعيش منبوذاً من الناس ، وأن يكدح لينال بلغة من العيش تقيم أوده ، بعد أن هاجر من البلد الذى أصدر قرار حرمانه ، وغيّر اسمه ، وكان ينشر مؤلفاته بأسماء مستعارة . درءاً لأخطار المصادرات ، وما وراء المصادرات ، مما كانت تحفل به عهود محاكم التفتيش .

أما فى إيطاليا ، فقد كان لجاليليو قصة — أو مأساة كما سمّاها الأستاذ المحاضر — تبعث على كثير من الأسى ، فقد اضطهد هذا الرجل من أجل عقيدته أقسى الاضطهاد ، وحوكم مرّتين أمام محكمة التفتيش وسجّلت مؤلفاته فى القاعة السوداء — أو الفهرست !! — كما كان يطلق عليه ، وقد حرص الأستاذ الطويل على أن يذكّرنا أنه اختار جاليليو ، وتحدث عنه كفيلسوف — على الرغم من أنه كان عالم فلكٍ ولم يكن فيلسوفاً ، لأن الفلسفة فى القرن السابع عشر كانت تعتبر عالم الفلك فيلسوفاً ، ولم تكن العلوم قد تحررت بعد من حظيرة الفلسفة .

والطريف ، فيما عرضه الأستاذ المحاضر ، من رأى جاليليو عن دوران الأرض وعن النظام الكوبرنيكى الذى دان به ، أقول الطريف فى ذلك أنّ الاسكندرية كما حرص الأستاذ الطويل على أن يذكرنا بذلك ، كانت سباقة فى هذا المجال الخطير . فقد قال بنفس هذا الرأى من قبل كوبرنيكوس ، ومن جاليليو ، فيلسوف عاش فى الإسكندرية ، وهو أرسطو خوس !!

قصص هؤلاء الفلاسفة الثلاثة ، فى بابها الثلاثة ، صادقة الدلالة على أنّ الاضطهادات التى حدثت ، والتى كان ضحيتها هؤلاء الفلاسفة العظام ، لم تكن من الدين ، ولا من كل رجال الدين ، وإنما كانت من تلك الفئة الجامدة التى لم يخل منها عصرٌ من العصور ولا دين من الأديان .

ولا صحة لما يقال ، من أن ازدهار الفكر لايكون إلا حيث يتخلص من قيود الدين ، فالتاريخ يحدثنا عن فلاسفة كثيرين حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة ، ولعلّ أشهرهم من فلاسفتنا الإسلاميين هو ابن رشد الفيلسوف الأندلسى المعروف .

هذه خطوط سريعة لمحاضرة مرتجلة ، جعلنا الأستاذ الطويل خلال حديث شائق فى صددها ، نعيش فى عالم فكرى بعيد عن ماديات هذه الحياة الصاخبة .

على حسن حموده

جماعة الفكر

تألفت فى القاهرة جماعة فكرية ثقافية باسم « جماعة الفكر » قوامها لفيفٌ من أدباء الشباب ، وستنشر مكتبة كاملةً فى شتى نواحى المعرفة .

فندعو لها بالتوفيق فى إتمام هذا العمل الجليل .



١ – ابن رشد الفيلسوف للأستاذ محمد يوسف موسى

٢ – بعد الموت للأستاذ السعيد يوسف موسى

— ١ —

هذا الكتاب من تأليف الأستاذ محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين ، وهو من سلسلة أعلام الإسلام التى تصدرها لجنة دائرة المعارف الإسلامية . ويقع الكتاب فى ١١٧ صفحة من الحجم الصغير ، ولكنه على صغر حجمه جيد فى بابه ، ولا غرو فالمؤلف مشتغل بهذا الفيلسوف من زمن ، وينوى أن يضع فيه رسالة كبيرة ، فهو ليس غريباً عن الموضوع . عرض أولا لعصر ابن رشد وأسرته ، ثم إلى نشأته ، ثم عمله فى التوفيق بين الحكمة والشريعة ، ثم عمله فى نظرية المعرفة ، ثم ابن رشد والغزالى ، ثم انتهى إلى خاتمة المطاف ، وإلى ابن رشد وأثره من بعده ، وهل نجح فى رسالته .

وأنت ترى أن صفحات الكتاب أضيق من هذه الموضوعات المتعددة . وقد كان المؤلف بارعاً فى الإيجاز حتى يسوق جميع ما يريد أن يقول فى هذا الثوب الضيق . غير أنه اضطر إلى التلميح عن بعض النظريات دون إشباع حسب ما يقتضيه المقام .

وفى الكتاب عرض جيد لحياة ابن رشد وعصره وتفصيل لمحنته ومناقشة أسبابها . وطريقة المؤلف فى اقتباس النصوص وحبكها فى مجرى الكلام ، تدل فضلا عن الاطلاع الغزير ، على امتلاك ناصية الموضوع .

وقد وفّى الفصل الخاص بالتوفيق بين الحكمة والشريعة حقه إذ يستغرق ٢٧ صفحة ، بينما نظرية المعرفة تناولها فى خمس صفحات ونصف . وكنا نرغب الإطالة فى هذا الموضوع الذى لم تسبق الكتابة فيه ، ولا يزال غامضاً . وأخالف الأستاذ محمد يوسف موسى فيما يذهب إليه من أن ابن رشد يرى فى الاتصال أنه « وصول العقل الإنسانى إلى الدرجة العليا من الكمال ، تعنى إلى الاتحاد ، أو الاتصال بالعقل الفعال أو الله تعالى ذاته » ص ٦٣ ، ٦٤ ثم قال :

« ولا بد من توفر ثلاثة أمور فيمن يسعد بهذه النعمة أى نعمة الوصول : قوة العقل الأصلية ، وكمال العقل بالفكر ، وعون وإلهام غير طبيعى من الله » .

وأكبر الظن أنه يريد أن يقول « إلهام طبيعى » لا غير طبيعى .

وتصوير الاتصال بالعقل الفعال أو الله ذاته على النحو المذكور يجعل من ابن رشد صوفياً ، خصوصاً وأنه اشترط فيها بعد العون الإلهى . وبهذا لا تستقيم النتيجة التى أوردها بعد ذلك ، وهى أن ابن رشد « ابتعد عن مجاهدات الصوفية ... فهو لهذا أقل الفلاسفة الأندلسيين بل المسلمين تصوفاً » ص ٦٤ .

فهل كان ابن رشد متصوفاً ، أو عنده نزعة صوفية كالفارابى مثلا؟

— ٢ —

وهذه قصة ألفها الأستاذ السعيد يوسف موسى ، تقع فى ٢٨٦ صفحة من الحجم المتوسط .

أعرف المؤلف معرفة شخصية ، وأستطيع أن أؤكد لك أن هذه القصة صورة من نفس المؤلف ، أودعها أحاسيسه وعواطفه وآراءه . وهذا الصدق فى التعبير هو السر فى قوة هذه القصة . وأكبر الظن أن المؤلف لن يستطيع أن يخرج لنا مثيلا لها إلا بعد مضى سنوات طويلة ، تزدحم فيها نفسه بتجارب جديدة وصور أخرى يودعها قصته الجديدة ، فإن أراد أن يبين فساد حكمى فليقدم على إخراج قصة أخرى ...

نحن فى حاجة إلى القصة الطويلة فى اللغة العربية . فالقصة القصيرة يكتب فيها كثيرون على رأسهم الأستاذ محمود تيمور ، فهو بطل هذا الميدان . وقصة « بعد الموت » قصة مصرية صميمة ، لم يتأثر صاحبها بالمؤلفات الأجنبية ، فهى بذلك تسد باباً كنا نحس فيه بالنقص . وهذه خلاصة الموضوع فى إيجاز .

طالبان من الريف ، ذهبا إلى مدرسة داخلية بالاسكندرية ، فاتصلا فى المدرسة وارتبطا بصداقة وثيقة العرى . أحدهما جلال ، والآخر هو الذى يقص القصة ... رأيهما « نجوان » صاحبة بار بالاسكندرية ، فأحبت جلال الذى كان متعاهداً على الزواج من هند ابنة عمه . وهنا يحدث صراع بين الوفاء للوعد ، وبين الحب الجديد الذى يستغرق فيه جلال ، وصاحبه معه ، إلى أن يطردا من المدرسة . وتعرف هند وأم جلال ، فتحضران إلى الاسكندرية وتطلبان إلى نجوان التخلى عن جلال ، ولا تستطيع نجوان فتقتل نفسها ويشهد جلال مصرعها ويظل ذكراها عالقة بذهنه فلا يفيق من داء حبها حتى « بعد الموت » ؟

إنى آسف لهذا الاختصار المخل ، فهو لا يغنى عن قراءة القصة وتذوق ما فيها من حلاوة الحوار بين هذه الشخصيات المختلفة ، التى يحاول صاحب القصة أن يجعلها تنطق بحقيقة المشاعر الإنسانية .

يريد المؤلف أن يقول إن الروح تبقى بعد الموت ، وأنها تؤرّق سلوك الأحياء ، بدليل أن موت نجوان لم يبطل حب جلال لها ، ولم يصرفه إلى العودة إلى خطيبته الأولى هند وكان يراها فى المنام فيفزع .

ولـكن علماء النفس المحدثين يذهبون إلى خلاف ما يذهب إليه المؤلف ، ويفسرون أمثال هذه الظواهر بأنها حالات مرضية يمكن شفاؤها بالتحليل النفسانى . ونأخذ على المؤلف هجومه العنيف على المعلمين وعلى المدرسة وكنا نحب أن يسمو عن هذا .

الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

من إنتاج الأدب السودانى

١ — مهدى الله للأستاذ توفيق أحمد البكرى

٢ — الطريق إلى البرلمان للأستاذ إسماعيل الأزهرى

— ١ —

مؤلف هـذا الـكتاب الأستاذ توفيق أحمد البكرى شاب سودانى ذو ثقافة عاليـة وذوق أدبى أصيل — ولا عجب فهو خريج كلية الآداب ومعهد الصحافة من جامعة فؤاد الأول — وإذ تصدى للكتابة عن الإمام الـكبير محمد أحمد المهدى فقد تصدى بعد دراسة عميقة مزمنة ورغبة ملحة صادقة . ولعل المستر ونستن تشرشل يعنيه حينما قال فى كتابه حرب النهر « إن المؤرخ السودانى الذى سيكتب تاريخ بلاده يوما ما يجب ألا ينسى أن يضع « محمد أحمد » فى طليعة أبطاله ، « فأن هذا الشاب النابه قد خدم بلاده خدمة محققة بنشره هذا الـكتاب فى سيرة ذلك الرجل ، الذى لا نعلم أن أحداً استطاع من قبل أن يصور له صورة إنسانية خالية من التحامل » كما يقول الأستاذ الـكبير أبو حديد .

وسيرة الإمام المهدى سيرة فيها من هدى الدين وقوة الإيمان ما ذللت أمامهما الصعاب ورضخت لمشيئتهما القوة المنظمة الحاكمة ! فأن رجلا نشأ بين أبوين شريفين رقيق الحال فشب عن الطوق وثقافته دينية بحتة ، وحياته تأملات صوفية عميقة ، وروحه نقية زاهدة ، فلا تريد من متاع الدنيا مالا ولا جاها ولا ملـكا . وإنما يدعو العباد إلى صلاحهم وإلى مايقربهم من ربهم لتمتلىء الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما — وبهذه الدعوة الطاهرة المليئة إيمانا تكاً كأ عليه المؤمنون جماعات ووحدانا يرتلون قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

استطاع ، وهو الأعزل ، أن يفتح ذلك الفتح المكلل بالظفر وأن يقيم دولة إسلامية دستورها الـكتاب والسنة ست عشرة حجة طوالا

وإننا بصدد الأشارة إلى هذا الـكتاب النفيس لا يفوتنا أن نزجى عاطر الثناء إلى لجنة دائرة المعارف الإسلامية لنشرها هذا الـكتاب من سلسلتها التاريخية «أعلام الإسلام» كما نرجو أخانا الأستاذ توفيق البكرى أن يتم ما بدأه فيفصل ما أوجز ويسهب فيما اقتضب ، لتوفى هذه الشخصية الـكبيرة حقها دراسة وتحليلا .

— ٢ —

«الطريق إلى البرلمان» : مؤلفه الأستاذ إسماعيل الأزهرى خريج الجامعة الأمريكية ببيروت ورئيس مؤتمر الخريجين العام فى السودان لهذه الدورة ودورات ماضية — والأستاذ معروف بأنه البرلمانى الأول فى السودان ، فلا غرو أن يؤلف كتابا قيما بعنوان « الطريق إلى البرلمان » فى أكثر من ثلثمائة صفحة — والعنوان كما ترى جذاب أخاذ يدل على أن هذا الـكتاب يأخذ بيـدى القارىء ويدخله البرلمان بسهولة ويسر ! ويتضخم هـذا المدلول حينما تعلم أن الأستاذ زعيم معروف ! بينما أن الـكتاب يتحدث عن نظم الجمعيات ، كالأندية والشركات واللجان والأحزاب وغير ذلك ، مرتباً كيفية تكوينها وتنظيمها وإدارتها حتى يتدرب النشء والـكبار على النظم البرلمانية وأساليبها فتنشأ الأجيال المقبلة عريقة فيها مجبولة على تقديس القوانين مفطورة على حب النظام .

ولم يفت الأستاذ أن يشير إلى استخدام هذا الإسم « الطريق إلى البرلمان » كعنوان ، لأن الغرض من وضع هـذا الـكتاب كما قال : « نشر النظام البرلمانى ليصبح بفضل التدريب والمران عادة مألوفة وتقاليد متأصلة عند الصغار والـكبار فى « الطريق إلى البرلمان » حتى إذا دخلوه استطاعوا أن يستفيدوا من نظمه فى النهوض بأممهم إلى أعلى مراتب التقدم والـكمال »

والـكتاب يحتاج إليه رجل الاجتماع بقدر حاجة الطالب الماسة ، ويا حبذا لو قررته مصلحة المعارف السودانية فى مدارسها الثانوية ليساعد على إخراج رجل الاجتماع المنشود .

الفاتح النور